فن الحوار في تحقيق التعايش السلمي والأمن المجتمعي في ضوء نهج البلاغة

The art of dialogue in achieving peaceful coexistence and community security In view of Nahj al-Balaghah

د. وفاء كاظم جبار

مركز الارشاد الاسري العتبة الحسينية المقدسة

Dr. Wafaa Kazem Jabbar

family counseling center

Imam Hussain Holy Shrine

ملخص البحث

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على فنِّ الحوار في تحقيق التعايش السلمي في ضوء معطيات الخطاب في نهج البلاغة، وقد تحدَّدت مسارات البحث في مناقشة أسس التعايش السلمي وقواعد تحصيل الأمن المجتمعي؛ لما يمثلان من ركائز مهمَّة في إرساء التوازنات العامَّة للمجتمع، وذلك بقراءة منهج أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في تحصيل التعايش السلمي عبر وسائل الحوار والإقناع، وقد كان لمنهجه معطيات مهمَّة في التاريخ على عمق امتداده؛ لأنَّه أسَّس لبناء مجتمعٍ لا يستهدف بعضه بعضًا على حساب اللون أو الجنس أو العقيدة، وكان منهجه تطبيقًا للقاعدة القرآنية التي تقتضي بأن يكون التقوى هو ميزان التفاضل. وعلى أساس ذلك سنناقش في هذا البحث الأسس التي اعتمدها أمير المؤمنين (عليه السلام) في تحقيق التعايش السلمي والأمن المجتمعي.

Abstract

The current research aims to identify the art of dialogue in achieving peaceful coexistence in the light of the discourse data in Nahj al-Balaghah. The paths of research have been determined in discussing the foundations of peaceful coexistence and the rules for achieving community security; Because they represent important pillars in establishing the general balances of society, by reading the approach of the Commander of the Faithful Ali (peace be upon him) in achieving peaceful coexistence through the means of dialogue and persuasion, and his approach had important data in the history of its depth; Because he was founded to build a society that does not target each other at the expense of colour, gender or creed, and his approach was an application of the Quranic rule that requires piety to be the balance of differentiation. On the basis of that, we will discuss in this research the foundations adopted by the Commander of the Faithful (peace be upon him) in achieving peaceful coexistence and community security.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

عن ابن عباس قال: قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «الْأَمْنُ وَالْعَافِيَةُ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» رواه الطبراني[1].

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على فن الحوار في تحقيق التعايش السلمي في ضوء نهج البلاغة، وجاء في المبحث الأول

عندما نناقش التعايش السلمي، والأمن المجتمعي فهما يمثلان محورين مهمَّين في المناقشات المجتمعية، فالتعايش السلمي هو العيش المتبادل مع الآخرين بمختلف معتقداتهم وأديانهم، والسلمي يعني السلام، ومنه قيل للجنة دار السلام، وتسالموا أي تصالحوا، وأوَّل تجربة تعايش سلمي نجدها في ذهاب المسلمين إلى الحبشة من خوف قريش، فكانت مثالًا للتعايش السلمي وجميل الإيواء على الرغم من اختلاف الأديان بينهم؛ ولذلك وضع الإمام علي (عليه السلام) برنامج التعايش السلمي في خلافته، وركَّز فيه على جميع الأطياف والعبيد، واختلاف ألوان الناس ولغاتهم وأديانهم، فهو أول من أسَّس لدولة مدنية في الإسلام كانت مكوناتها: ١- التراحم. ٢- العفو عند المقدرة. ٣- القيم الاجتماعية. ٤- حق الجار. ٥- الصدق. ٦- الجانب النفسي في التعامل مع الآخرين. ٧- الإحسان إلى الآخرين. ٨- المحاسبة.

وجاء في المبحث الثاني: تحقيق الأمن المجتمعي في ضوء نهج البلاغة، وقد تضمَّن التعرف على الأمن المجتمعي في القرآن الكريم، وتحقيق الأمن المجتمعي في ضوء

نهج البلاغة، والتعرف على برنامج الأمن الاجتماعي الذي وضعه الإمام علي (عليه السلام).

وتضمَّنت مكونات الأمن المجتمعي تثبيت الأمن النفسي، وتثبيت الأمن المكاني (السكن الأمن)، وتثبيت الضمان الاجتماعي (التكافل الاجتماعي)، وحق العمل لكلِّ فرد (وظيفة)، والأمن الاقتصادي، وتحقيق العدالة الاجتماعية، والاستقامة في التعايش والتوازن في العلاقات الاجتماعية، وحق التعليم وإلغاء التمايز العنصري بين أفراد المجتمع، والابتعاد عن التعصب الفكري، وسيادة القانون، ثمَّ التعرف على برنامج الإمام علي (عليه السلام) في معالجة مشكلات البطالة، ثمَّ النتائج والتوصيات، والمصادر.

المشكلة:

نشطت في الآونة الأخيرة روح العنصرية، وربما عوامل التمييز لبعض أفراد المجتمع وتهميش بعضهم الآخر، التي اسُتغلت من لدن بعض الجهات؛ لتصعيد وتيرة التصارع في التعايش السلمي والأمن المجتمعي لوحدة العراق.

وكأنَّما تصور ذلك لنا في قول الإمام علي (عليه السلام) «**قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ. وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ. لَقَدِ اسْتَهَانَ بِكُمُ الْخَبِيثُ، وَتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ**»[٢].

ولعلنا ندرك أنَّ التعصب الديني له دور مهم في فقدان المجتمع تماسكه ووحدته الوطنية، وبالمقابل تنشيط حروب داخلية تؤثر سلبًا على التعايش السلمي في المجتمع، وتعطل الدور الحقيقي لأفراده، ومثل هكذا مجتمع يعاني موجات

من الخوف والإرهاب بسبب الصراعات الدامية بين مجموعات معينة في أماكن متفرقة منه.

ومن جهة أخرى أدركنا أنَّ المجتمع اليوم أصبح أكثر تعقيدًا من المجتمعات السابقة، بسبب الانفتاح العالمي وقرب المسافة الرقمية بين المجتمعات، وكذلك الصراعات التي تنقل لنا عبر قنوات التواصل من التلفاز ومواقع التواصل الإلكتروني، الأمر الذي دفع بالمعنيين إلى إيجاد حلول فكرية للخروج من هذه الصراعات.

ولذلك يتساءل البحث هل التعايش السلمي الآن على وفق ما جاء في التعايش الذي أقره الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله)، أو الإمام علي (عليه السلام)؟.

هل بالإمكان تطبيق برنامج الأمن المجتمعي على وفق ما جاء في التعايش السلمي الذي أقرَّه الإمام علي (عليه السلام) لكلِّ فردٍ في المجتمع مع اختلاف أديانهم؟.

هل التعايش السلمي والأمن المجتمعي مفهومان مثاليان غير خاضعين للتطبيق؟ أم طبقا في عهد الإمام علي (عليه السلام)؟

الأهمية:

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٣].

تكمن أهمية البحث في كونه مرتبطًا بالتعايش السلمي، والأمن المجتمعي لأكرم المخلوقات التي خلقها الله سبحانه (الأنسان).

واختلف العلماء في تعريف التعايش السلمي ومعاييره، فمنهم من عرفه بوصفه بديلًا للسلوك العدائي ذات الجماعات المختلفة. فالتعايش السلمي له نتائج إيجابية في

بناء المجتمع ونموه[٤].

وأكدت الديانات الموحدة لله سبحانه، على التعايش السلمي وأعطى الدين الإسلامي حرية التعايش السلمي بين الأديان ا لمختلفة .

إلَّا أنَّه لا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال أن نزيل الفروق الفردية بين البشر، ومن أراد أن يدرس الجماعات، فلن يتوصل إلى صفاتٍ مشتركة بينهم جميعًا حتَّى في أبناء الجماعة الواحدة، وإنَّما الاشتراك بينهم يكون نسبيًا.

ولذلك يحاول هذا البحث عرض أهم ما طرحه الإمام علي (عليه السلام) في التعايش السلمي، والأمن المجتمعي عبر فن الحوار مع الطرف الآخر.

ولعلَّنا ندرك أنَّ كلام الإمام (عليه السلام) وحكمه بمثابة قوانين اجتماعية لابدَّ من الأخذ بها وتطبيقها في المجتمع.

لذلك جاء هذا البحث ردًّا على الأفكار التي ترى في صراع الأديان والمذاهب، طريقًا لابدَّ للإنسان من الخوض فيه.

ولذا فهذا البحث هو بحث شبه استقرائي لما وضعه الإمام علي (عليه السلام) للتعايش السلمي بين الناس؛ إذ أكَّد عليه وجسده تطبيقيًّا في حياته الاجتماعية، ولذلك تكمن أهميته في تطبيقه لتعم الفائدة على الجميع.

ومن عوامل استقرار أي مجتمع ونهوضه التعايش السلمي والأمن المجتمعي؛ إذ يؤدي إلى صلاح الأسرة وقوة التنظيم الاجتماعي.

منهجية البحث

تحددت بالمنهج التاريخي والتحليلي النفسي للنصوص.

تعريف المصطلحات

١. **فن الحوار**: الحوار لغة هو

الرجوع إلى الشيء.

اصطلاحًا: مهارة لغوية لتخطي العديد من الأمور التي تواجهنا، وهو أخص من الكلام والخطابة، ويشمل المحادثات بين الطرفين التي يتوقع منه رد فعل من المتلقي[٥].

٢. التعايش السلمي:

التعايش لغة: عاش عيشة ومعاشًا، صار ذا حياة فهو عائش فيقال أعاشه عيشة راضية، وتعايشوا أي عاشوا على الألفة والمودة[٦].

التعايش اصطلاحًا: هو إحساس كلِّ فردٍ في المجتمع مهما اختلفت الديانة بأنَّه يعيش ويتعايش مع أفراد المجتمع من الديانات الأخرى.

السلم لغة: الصلح[٧].

السلمي اصطلاحًا: هو الخلاص من كلِّ بلاءٍ وشرٍّ ومن كلِّ مكروه.

٣. الأمن المجتمعي:

الأمن لغة: ضد الخوف.

اصطلاحًا: عدم توقع مكروه في الحاضر والمستقبل، وأن يعيش الفرد حياة اجتماعية آمنة يسودها الاطمئنان النفسي في المجتمع[٨].

٤. نهج البلاغة:

هو كتاب جمعه الشريف الرضي من كلام الإمام علي (عليه السلام)، وهو وثيقة عظيمة القيمة في الإسلام تتضمن الخطب والرسائل والمواعظ.

المبحث الأول

فنُّ الحوار في تحقيق التعايش السلمي في ضوء نهج البلاغة

المطلب الأول: فنُّ الحوار في ضوء نهج البلاغة

إنَّ الفتوحات الإسلامية أدخلت طابعًا وفكرًا جديدًا على الإسلام؛ وذلك لاختلاف الثقافات التي دخل عليها الإسلام، وأنَّ هذه الثقافات تحمل رؤيةً نظريةً تختلف عن رؤية الإسلام، ولذلك لابدَّ أن يكون هناك تحاور بَناء في تقريب هذه الثقافات، لمعرفة مفهوم الإسلام

بأساليب أكثر مرونة وديناميـة.

وقد حدثت بعض الأمور التي أدَّت إلى اهتزاز الأمن المجتمعي بسبب بعض الإجراءات غير العادلة التي اتَّخذها بعض الحكَّام، ممَّا استدعى من أمير المؤمنين (عليه السلام) مواجهتها، ومن الأساليب التي اتخذها الإمام علي (عليه السلام) في تثبيت الأمن المجتمعي إلغاء الفوارق الطبقية التي نمت بعد الفتوحات لتسيطر على الديانات الأخرى، ولذلك استعمل الإمام (عليه السلام) فنَّ الحوار مع الطرف الآخر مع ضرورة الحفاظ على كرامة الإنسان فقال: (عليه السلام): «**لا أجبر أحدًا على عمل يكرهه**»[٩].

اعتمد الإمام علي (عليه السلام) في الحوار على احترام الطرف الآخر حتَّى وإن كان مناقضًا للمعتقد، وقد بيَّن (عليه السلام) أنَّ عبادة الله سبحانه وتوحيده كانت في الدِّيانات السابقة الموحدة قبل أن تكون في الدِّين الإسلامي، ويمكن استنتاج ذلك من قوله (عليه السلام): «**أَمَا وَاللهِ لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الوِسَادَةُ ثم أجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوارتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتَّى ينادي كل كتاب بأنَّ عليًّا حكم فيَّ بحكم الله**»[١٠].

إنَّ الحوار الفعال والتسامح أكثر نفعًا من العنف في معالجة كثير من الأمور.

إنَّ هذه الصورة الحوارية تدل على فنِّ الحوار مع عقلية منفتحة للمتلقي، ولا يحصل هذا الانفتاح إلَّا في التعايش السلمي[١١].

ومن سمات فنِّ الحوار القول اللين في وضع ضوابط للتعايش السلمي فقال (عليه السلام): «**وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً،**

أَوْ أَلْبَسْتُهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ؛ فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ»[١٢].

وفنُّ الحوار فيه تذكرة لمحاسن المقابل، ويدعو إلى الانفتاح الفكري مع الآخر، وهو يحتاج إلى معرفة وفكر واعيين من أجل تقبل الطرف الآخر على كلِّ مساوئه وعيوبه بغض النظر عن الدين، وهو يدعو إلى التعايش السلمي، ولذلك نجد في خطب الامام علي (عليه السلام) فنون حوارية لحالات مختلفة من السلوك الإنساني للتعامل مع كلِّ من يحترم الإنسانية، وإذا لاحظنا تفضيل الحوار في بعض الأحيان والحالات والمواقف فهذا لا يعني تفضيل الحوار دائمًا حتَّى في المواقف الحازمة التي تتطلب استعداد للردِّ والحذر من الآخرين[١٣].

المعيار الأصيل في التعايش هو قبول الآخر في المجتمع بوصفه شريكًا يسهم في البناء الاجتماعي بغض النظر عن ثقافته ودينه إن لم يكن فيه أذى على الآخرين في مجتمعه، وهذا المعيار يؤدِّي إلى تجنب الانعزال والكراهية والعنف، الذي يكون طريقه إلى معالجة المشكلات هو فن الحوار البناء والحرية الفكرية الواعية المتسامية على الفوارق بين الجماعات، التي تحوي الانقسامات في التنوع البشري وتخرجها بمخرجات التسامح وبناء الفكر الرصين في الحوار فيكون هذا التعايش السلمي.

يقصد بالحوار تبادل المعلومات بين شخصين أو أكثر، قد تكون بينهما

أحداث نفسية مثل حالة الانجذاب في الحديث بينهما، لحاجتهما النفسية إلى هذا الحوار، وفيه تكون حالة الانسيابية والابتعاد عن السكون هي نتيجة العبور في المشاعر من مرحلة إلى أخرى، تلك التي يطلق عليها بالاندفاع أو (التحوّل)، بينما يطلق على تأثر الأشخاص ببعضهم بعضًا فهو يتحكم في معدلات سرعة التحوّل من مرحلة إلى أخرى؛ عبارة (التأثير المتبادل)[١٤].

كذلك للحوار أهداف منها الحصول على المعرفة، والإدراك، والفهم المتبادل، وإظهار ما يضمره الوجدان والتعرّف الأكثر على الشخص المحاور. وقد طالب (عليه السلام) أصحابه أن يعرّفوا أنفسهم عبر الكلام والحوار فيقول (عليه السلام): «تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ»[١٥].

استعمل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فن الحوار في مجالات متباينة مع أطراف مختلفين، وحتى مع أعدائه أيضًا -كمعاوية مثلاً- ذلك لبيان الحق ودفع الباطل، فيقول في هذا الصدد: «وَأَيْمُ اللهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ»[١٦].

المطلب الثاني: فن الحوار في تحقيق التعايش السلمي

إنَّ فن الحوار موجود في القرآن الكريم وبذلك أمر سبحانه موسى وهارون أن يذهبا إلى فرعون، ويقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى من الله سبحانه؛ لأنَّه كان يعلم أن الله سبحانه ربَّه، وهو خالقُ كلِّ شيء؛ لذلك لم يقل فرعون إنه خالق؛ لأنَّه يعرف الله سبحانه أنَّه الوحيد الخالق كل شيء لذلك قال: أنا ربكم الأعلى.

التعايش السلمي في القرآن الكريم

التعايش السلمي هو الاشتراك في العيش المتبادل والألفة مع الآخرين

بمختلف معتقداتهم وأديانهم ويهدف إلى التضامن الاجتماعي والاقتصادي وصولًا إلى المصلحة العامة[١٧] لذلك جاء في القرآن الكريم أساس التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والثقافية النافعة، والتعايش السلمي هو المواطنة بغض النظر عن اختلاف الأديان، وبالمقابل يعني البديل عن العلاقات العدائية بين الجماعات ذات النظم الاجتماعية المختلفة، وهو يقوم أيضًا بين أبناء المجتمع الواحد بغض النظر عن دياناتهم ويؤدي إلى الانسجام فيما بينهم؛ لذلك فالتعايش السلمي يبدأ من نظرة الإنسان إلى نفسه وتقيمه لها ومدى دافعيته في التعايش مع الآخر، فالمطلوب هو انطلاق الإنسان من ذاته والخروج بتوازن بين العقل والمعرفة والعاطفة في تعامله مع الآخرين، يتأثر بهم ويؤثر فيهم، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١٨] هنا أكّد القرآن الكريم على التعايش السلمي (لتعارفوا)، والتعارف يمهد للتفاهم بين الجماعات، وهو معرفة وإدراك خصوصيات القوميات الأخرى والتعامل معها على وفق التقوى.

تشير هذه الآية الكريمة في حقيقة الوجود التكويني للتنوع البشري وتباينه فجعل الناس شعوبًا وقبائل، وهنا لا تتدخل الوراثة في هذا التباين والانقسام أو الصدفة ولا يمكن إلغائه مهما مرت السنين، وتوحدت الشعوب والقبائل؛ لأنَّ هذا التباين اسَّسه الله سبحانه ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[١٩]. إنَّ هذه الآية هي أساس الامتثال للتعايش السلمي المشترك بين الأديان والمعتقدات،

فقد جعلهم سبحانه مسؤولين عن سلوكهم وتصرفاتهم في الأرض، وأنَّ هذه الآية تشير إلى صنع الحضارات المختلفة؛ لذلك شجَّع سبحانه على التفاعل الإيجابي بين الأمم والحضارات وصولًا إلى الكمال في عمارة الأرض.

ومن هنا علينا أن ندرك أنَّ هذا التباين ليس بيد البشر وإنَّما هو بيد الله سبحانه، وجملة (لا يزالون مختلفين) يدل على الاختلاف والتنوع هو باقي ومستمر إلى ما شاء الله سبحانه، فهنا يدرك الإنسان فائدة وجود التباين والتنوع بين الناس وإن كانوا في مجتمع واحد، إذ جعل سبحانه لكلِّ مجموعة سماتها وخصائصها تختلف عن الأخرى وصولًا إلى أنَّه سبحانه جعل لكلِّ فردٍ في المجموعة سماته وخصائصه التي تختلف عن غيره من المجموعة نفسها أو القبيلة؛ بل الله سبحانه جعل للأخوين من نفس الأم والأب سمات لكلِّ واحدٍ منهم يختلف عن الآخرين، ومن هنا إذا أردنا أن يكون التعايش مثمرًا لابدَّ أن نتعرف على خصوصيات كل مجموعةٍ للتعايش معها منطلقين من مبدأ الاحترام المتبادل للدين والعقيدة[٢١].

استند الإمام علي (عليه السلام) على قاعدة أخلاقية إنسانية، هي الإنسانية بمعنى أنَّ جميع البشر خلقوا من نفسٍ واحدة ليس هناك فرق بين عبد وحر ومسلم وغيره من الأديان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢١]. إنَّ سياق الآية يدلُّ على أنَّ المراد بالذين آمنوا في هذه الآية هم المؤمنون، ولعلَّ القارئ يتساءل هل الله سبحانه

قارن بين الذين آمنوا والذين هادوا بالدرجة نفسها؟ يمكن القول هنا إنَّ الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح يجمعهم في الإسلام؛ لأنَّ الله سبحانه ذكر ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فأراد من العباد مع اختلاف أديانهم الموحدة له مطلق الانقياد والتسليم له في الطاعة والاستجابة.

التعايش السلمي في السُّنة النبوية

ثبت الدين الإسلامي القواعد الأساس للأخلاق التي تؤدي إلى بناء المجتمع الإسلامي الفاضل للتعايش السلمي، ودخل إلى الأسرة ليبني لنا طريق التنشئة الأسرية الصحيحة.

واهتم الرسول (صلى الله عليه وآله) بالتعايش السلمي وربَّى عليها المسلمين. وممَّا يدلُّ على ذلك رواية عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حبيب الخثعمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لهم: «**إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وتوطأ رحالهم**»[٢٢].

ركَّز الرسول (صلى الله عليه وآله) في التعايش السلمي على المساواة بين الأقوام، ومعيار التفضيل يكون بالتقوى، فقال «**ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى**»[٢٣]، فهنا وضع معيارًا للتفاضل بين الناس وهو التقوى، ثمَّ وضع دستورًا للتعايش السلمي سمي دستور المدينة يتضمن تنظيم العلاقات والحقوق بين المسلمين وغيرهم من الأديان الأخرى، ويتضمن واجبات والتزامات يؤدي كل فرد في النواحي الاجتماعية والاقتصادية

وحتَّى العسكرية، وتكمن قيمة هذه الوثيقة في تطبيقها بالفعل على الرغم من أحقاد الجاهلية المتبقية، ولم تؤثر ضمائم اليهود على هذه الوثيقة في التطبيق، وأحجمت هذه الوثيقة ثارات العصبية وقامت على ركيزتين أساسيتين في التعايش السلمي:

١. **الأمن المجتمعي**: عزَّز بنود العدالة الاجتماعية في التعايش السلمي بين القوميات والأديان، فقد كتب فيها (صلى الله عليه وآله): من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم. وإن الله جار لمن برَّ واتقى، ومحمد رسول الله[٢٤] (صلى الله عليه وآله)، وجعل العدل هو أساس الأمن المجتمعي المؤدي إلى التعايش السلمي، وكأنَّما يشير هذا البند إلى أنَّه لا يوجد أحد فوق المسألة والمحاسبة.

٢. **حرية المعتقد**: لكلِّ مواطن حرية الاعتقاد بما يعبد، بمعنى لجميع الناس دينهم ومعتقدهم ويشير هذا الدستور على أنَّ جميع الأطياف والناس يعاملون على أساس المواطنة والاشتراك في الوطن وليس على أساس الدين، ومثال على ذلك أنَّ مجموعة من النصارى زاروا رسول الله (صلى الله عليه وآله) للاستفسار منه، فأقاموا في مسجده في المدينة قداسًا بكلِّ حرية، ولم يمنعهم الرسول (صلى الله عليه وآله) وهم في مجلسه من ذلك، ومن أمثلة التعايش السلمي بين الناس أنَّهم يشاركونهم في أحزانهم وأفراحهم، ومثال ذلك ما روي عن الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) عن آبائه أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما أتاه جبريل بنعي النجاشي بكى عليه، وقال: إنَّ أخاكم اصحمة النجاشي مات، ثمَّ خرج إلى الحجانة وصلى عليه وكبر سبعًا، فخفض الله سبحانه له كل مرتفع حتَّى رأى

جنازته وهو بالحبشة)[٢٥].

التعايش السلمي في نهج البلاغة

التعايش هو إحساس كلِّ فردٍ في المجتمع مهما اختلفت الديانات بأنَّه يعيش ويتعايش مع أفراد المجتمع من الديانات الأخرى، ويفرض على هكذا مجتمع بناء قواعد سلمية لتعايش أبنائه قائمة على أسس القيم الإنسانية التي جاء بها القرآن الكريم، وهي تدعو إلى الاندماج والانتماء مع الآخر، فالتعايش يجعل الإنسان يصبر على أخيه الإنسان، ويقف معه في الشدة ويتحمله عند الغضب، مثلما كان يتقبله قبول حسن في مختلف الظروف.

بينما عرَّفه بعضهم على أنَّه اتفاق بين مجموعات يقوم على تنظيم وسائل الحياة الاجتماعية فيما بينهم على وفق قواعد اجتماعية أصيلة.

والتعايش: هو شعور كلِّ فردٍ في المجتمع أنَّه يعيش في جماعةٍ وينتمي إليها، وهذا التعايش مبني على قواعد أساسية قائمة على أسس القيم الاجتماعية.

فضَّل الإمام علي (عليه السلام) التعايش السلمي على الحرب، وإن كان الشخص منتصرًا في الحرب فقال (عليه السلام) في رسالة لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) «**وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وللهِ فِيهِ رِضًا، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ، وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ، وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ**»[٢٦].

ويتضمن التعايش السلمي التعاون المشترك القائم على الثقة المتبادلة وصولًا إلى تحقيق مصلحةٍ

عامةٍ لجميع الأطراف، فلتعايش أثر إيجابي في بناء أي مجتمع[٢٧]، ولذلك أشار الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة إلى التعايش السلمي بين الأديان في ضوء الظروف الاجتماعية والتنوع الديني، بغض النظر عن دياناتهم فقال: «فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ»[٢٨].

فالتعايش يجعل الإنسان يصبر على أخيه الإنسان، ويقف معه في الشدة، ويتحمله عند الغضب، فإنَّ للتعايش أثرًا إيجابيًا في بناء المجتمع.

ونظر الإمام علي (عليه السلام) إلى أهل الشرك والمعاهدين على أنَّهم شريحة يجب أن تعامل ضمن موازين ومقاييس تشعرهم بأنَّهم أفراد لهم وجود وكيان باعث على الاحترام واللين في التعامل[٢٩].

وركَّز الإمام (عليه السلام) على التعايش السلمي مع جميع الأطياف وحتَّى العبيد، وأشار إلى أنَّ الناس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأديانهم هم أخوة من أصلٍ واحد يرجع إلى آدم.

وقال (عليه السلام): «فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلاَءُ مُجْتَمِعَةً، وَالأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالأَيْدِي مُتَرَادِفَةً، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الأَرَضِينَ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ. فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتِ الأُلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ؛ وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِّي قَصَصَ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنكُم»[٣٠].

ينبغي أن يكون أسس التعايش السلمي بين الديانات والطبقات المختلفة مكفولًا بالحريات والمعتقدات لجميع أفراد المجتمع.

لذلك وضع الإمام علي (عليه السلام) برنامج التعايش السلمي، وركَّز فيه على جميع الأطياف والعبيد، واختلاف ألوان الناس ولغاتهم وأديانهم، فهو أوَّل من أسَّس لدولةٍ مدنيةٍ في الإسلام، لذلك نقل مقر الدولة الإسلامية من مكة إلى الكوفة؛ لأنَّ الكوفة مفتوحة على العالم ومتنوعة بأفرادها وفيها ديانات مختلفة وطبقات اجتماعية متباينة، وهو بذلك أول من أسَّس لدولةٍ حضاريةٍ إسلامية إنسانية تكفل فيها الحريات الفكرية والديانات والمعتقدات كفالة متساوية للجميع إذا لم يسببوا ضررًا للمجتمع[٣١].

مكوِّنات التعايش السلمي

١. التراحم: لغة هو الميل للرحمة. واصطلاحًا: هو الميل إلى أخيك الإنسان تعينه وتنجده وتشد أزره.

لا يمكن أن يكون هناك تعايش سلمي في أيِّ مجتمعٍ يخلو من الرحمة بين أفراده، الكبير يرحم الصغير والصغير يرحم المسن وهكذا، وبذلك قال تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٣٢]، وممَّا يمكن أن نلاحظه في موضوعنا أنَّ الإمام علي (عليه السلام) هو الخليفة الشرعي، وقد اجتمع فيه التنصيص والانتخاب معًا، وممَّا كتب التأريخ في مدَّة حكومته تجرأت عليه جماعة من الخوارج المتمردين وكفروه، إلَّا أنَّه رفض أن يكفِّرهم، وإنَّما كان يقول دائمًا: «هم إخواننا بغوا علينا»[قرب الاسناد، الحميري القمي (ت: ٣٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط١، ١٤١٣هـ، مهر- قم، مؤسسة

آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث- قم: ٩٤] من دون تأجيج لفتنة بين المسلمين، فاتخّذ التراحم منهجًا له في السياسة، ومبدأً من مبادئ أهل البيت[٣٣] (عليهم السلام).

وقد عزَّز ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله لمالك الأشتر (رضوان الله عليه): «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ، مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ، وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ»[٣٤].

٢. العفو عند المقدرة.

قد يؤدي عدم التسامح إلى ظاهرةٍ خطيرةٍ وهي العنف، وقد يؤدي العنف إلى حروبٍ داخلية في المجتمع الواحد، وهي نتائج الجهل والتطرف، وفي حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) عن أحمد بن محمد بن خالد عن محمد بن عيسى عن الأنصاري عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله) «مَن نَظَرَ إلى مُؤمِنٍ نَظرَةً لِيُخيفَهُ بِها أخافَهُ اللهُ تَعالى يَومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ»[٣٥].

هذه نظرة؛ لكن إذا أحزنه ففي ذلك قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «مَن أحزَنَ مُؤمِنا ثُمَّ أعطاهُ الدُّنيا لَم يَكُن ذلِكَ كَفّارَتَهُ، ولَم يُؤجَر عَلَيها»[٣٦].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «إذَا قَدَرْتَ عَلى عَدُوّكَ فَاجْعَل

العَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلقُدْرَةِ عَلَيهِ»[٣٧].

وهي دعوة للعفو عند المقدرة والتسامح، وأساس التسامح نبذ الأحقاد؛ لأنَّ العدوان يؤثر سلبًا على التفكير، فلا يرى الشخص الذي وقع عليه العدوان إلَّا نفسه، ولا يسمع إلَّا نداء انفعالاته، وكأنَّما يسمع صوتًا خفيًا يشير إليه: كما تغلب عليك تغلب عليه، إلَّا أنَّ هذا الصوت يوصله إلى الندم؛ لأنَّ في هذه الحالة يقول علماء النفس: يتحكم الهوى في تفكير الشخص، وقد يمر الشخص بحالةٍ حرجة، فأن لم يسيطر على تفكيره طغت انفعالاته على سلوكه، أمَّا إذا استطاع التغلب على انفعالاته وسيطر عليها فهو يمتلك الشجاعة والحكمة[٣٨].

٣. القيم الاجتماعية

إنَّ القيم ذات تأثير مباشر على سلوك الأفراد وتعاملهم مع بعضهم بعضًا؛ بل هي الدافع وراء كل سلوك، وهي انعكاس للأسلوب الذي يفكر به الشخص.

فالقيمة هي نظام معقَّد من الأحكام والمبادئ نحو أشياء أو أفعال أو أشخاص، ولذلك يمكن القول إنَّ القيم الأخلاقية تعكس حاجات المجتمع في التعايش السلمي، وجاءت مختلف الديانات السماوية بالقيم الأخلاقية، وربطت على أساسها بين الحياة الدنيا والآخرة، وكان العرب يفتخرون بمكارم الأخلاق ويعدونها مُثلًا عليا للتعايش السلمي، ومتانة للعلاقات والترابط بين أفراد المجتمع[٣٩].

يمتد قوام التعايش السلمي من الأخلاق الفاضلة بغض النظر عن المعتقدات الدينية؛ بل يعتمد على الإنسانية، وتتداخل القيم الأخلاقية الإيجابية لتشكل أساس التعايش السلمي، ويقصد بها اهتمام الفرد بالآخرين، ويسعى إلى مساعدتهم

وإبداء المعونة لهم متى ما تطلب الأمر ذلك، ولذا فالذين يحملون هذه القيم يتصفون بالعطف والحنان والإيثار والتضحية[٤٠].

ويقصد بالقيم الإيجابية الدعوة إلى فعل الخير والنهي عن فعل المنكر. فالدين الإسلامي دين خير يؤدي بمعتنقيه إلى سعادة الدنيا والآخرة، وهو نعمة من نعم الرَّب على الإنسانية.

تُعنى القيم الإسلامية بتكريم الإنسان وتحقيق إنسانيته، إذ أكَّد الدين الإسلامي على أنَّ الإنسان هو أكرم مخلوق في هذه الدنيا؛ لأنَّ كل الموجودات سخرت له، وفي هذا الصدد يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّهُ يُكْسِبُكَ الْمَحَبَّةَ»[٤١].

ومن القيم الأخلاقية الإسلامية ما ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله: «لاَ شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلاَمِ، وَلاَ عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى، وَلاَ مَعْقِلَ أَحْصَنَ مِنَ الْوَرَعِ، ولاَ شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلاَ كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ، وَلاَ مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى بِالْقُوتِ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحَةَ، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ، وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ، وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ، وَالْحِرْصُ وَالْكِبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، وَالشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِئِ الْعُيُوبِ.

إلى أن قال: أَيُّهَا النَاس مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ كَابَدَ الأُمُورَ عَطِبَ، وَمَنِ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ»[٤٢].

٤. حق الجار

ورد في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن

طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عن علي (عليها السلام) قال: إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتب بين المهاجرين والأنصار، ومن لحق بهم من أهل يثرب: «إنّ الجارَ كالنّفْسِ غَيْرَ مُضَارّ وَلَا آثِمٌ، وحُرمة الجارِ على الجارِ كحرمةِ أُمِّه»(٤٣).

٥. الصدق

إنَّ الشرط الأساس لتحقيق حوار ناجح هو التزام أطراف الحوار بصدق الحديث وسلامة السلوك، وعدم الالتزام بالصدق يلحق الضرر أولًا بالشخص الذي صدر منه، فيظهر بالمظهر السيء أمام محاوره ممَّا يحول دون وصول الحوار إلى النتيجة المطلوبة.

وقد أكَّد الإمام علي (عليه السلام)على الصدق في القول واجتناب الكذب؛ وعلى إثر ذلك منع أصحابه من استعماله حتَّى مع جيوش الأعداء، وأوصاهم بألَّا يظهروا على لسانهم بخلاف ما تضمره قلوبهم؛ بل يحذر من هذا الأمر بشدَّة بقوله: «إنَّ الصَّادِقَ لُمْكْرَمٌ جَليلٌ، وَإنَّ الْكاذِبَ لُمهانٌ ذَليلٌ»(٤٤).

وقال (عليه السلام): «اِلْزَمِ الصِّدْقَ وَإنْ خِفْتَ ضُرَّهُ فَإنَّهُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الكِذْبِ المَرْجُوِّ نَفْعُهُ»(٤٥).

يقول الإمام علي (عليه السلام): «احْذَرْ فُحْشَ الْقَوْلِ وَالْكِذْبَ فَإنَّهُما يُزْرِيانِ بِالْقائِلِ»(٤٦).

٦. الجانب النفسي في التعامل مع الآخرين:

قد جاء الجانب النفسي في حثِّ الرسول (صلى الله عليه وآله) ليتعامل مع أبناء مجتمعه فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

إنَّ الجانب النفسي الذي أبداه النبي (صلى الله عليه وآله)، وهو الرأفة والتعاطف والمرونة في التعامل، فهو مهم في التعايش السلمي.

إنَّ كلَّ سلوك يصدر من الشخص لابدَّ أن يكون على وفق أسباب ودوافع تؤدي الى وظيفة نفسية، لذلك ان الدين الاسلامي يدعو الى الطمأنينة والامن النفسي، وعلى هذا الأساس يكون التعامل العادل مع الرعية بجميع أطيافها.

ولذلك مهم جدًّا أن يشعر الإنسان بالانتماء النفسي لوطنه ومجتمعه، فإذا شعر بذلك فإنَّه سيتحمل مصاعب الحياة الاجتماعية ويتجنَّب الهجرة إلى البلاد الأخرى أو ربما خيانة المجتمع.

٧. الإحسان إلى الآخرين:

قال تعالى ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٤٨].

والإحسان في المجتمع هو التحلي بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الرذائل،

قال (عليه السلام) «**ازْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ**»[٤٩]، وهذا القول دعوة إلى الإحسان؛ لأنَّه يؤدي إلى استمرار فعل الخير، وإذا اتصف الشخص بهذه السمة فإنَّه يستطيع أن يغير تفكير المقابل وكسب ودِّه؛ لأنَّه بالإحسان يتغير الشخص المقابل إلى شخصٍ آخر عندما يرى فعل الخير منك، ثمَّ يراجع معلوماته السابقة عنك، ويغير سلوكه عندما يقارن معنى الإساءة بمفهوم الإحسان.

ولابدَّ أن يتَّصف الإحسان بالعاطفة؛ لأنَّ الإحسان في أغلب الأحيان يكون في مواقف حسَّاسة، تتغلب فيها العاطفة على المنافع والاطماع الشخصية.

ولذلك فإنَّ سمة الإحسان تؤدِّي إلى التعايش السلمي، وتقلل من الفساد المجتمعي، وعليه فقد اهتم الإمام علي (عليه السلام) بالإحسان، وجعله خطوة رائدة في تحقيق برنامج

التعايش السلمي، فإذا فقد الإنسان صفة الإحسان، فإنَّه يؤدِّي إلى ضعف سمة الترابط المجتمعي، ولن يكون المجتمع منتجًا، وفي ذلك قال (عليه السلام) «لَا فَضِيلَةَ أَجَلُّ مِنَ الْإِحْسَانِ»(٥٠).

٧. **المحاسبة:**

على كلِّ شخصٍ أن يحاسب نفسه على الفعل السيء، قال الإمام علي (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليه): «وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ»(٥١).

هنا يوجِّه الإمام علي (عليه السلام) إلى محاسبة الفعل السيء على الرغم من الانتماءات.

المبحث الثاني: الأمن المجتمعي

المطلب الأول: الأمن المجتمعي في القرآن الكريم

كان الإمام علي (عليه السلام) أفضل الناس معرفة بالقرآن الكريم وتفسيره بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) من حيث الظاهر والباطن والمحكم والمتشابه والأهداف والأبعاد المستقبلية، فقال (عليه السلام) «وَاللهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَا نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ وَعَلَى مَنْ نَزَلَتْ! إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْبًا عَقُولا وَلِسَانًا طَلْقًا»(٥٢).

وذُكر الأمن المجتمعي في القرآن في آية يحاور فيها النبي إبراهيم (عليه السلام) مجتمعه، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأمن إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأمن وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٥٣).

وقال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ

﴿اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَـدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾(٥٤).

وقال ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾(٥٥). قال ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(٥٦).

المطلب الثاني: تحقيق الأمن المجتمعي في ضوء نهج البلاغة

الأمن المجتمعي هو المحافظة على الأفراد والجماعات من الأخطار الداخلية والخارجية، وهو من العوامل الأساس في تثبيت المجتمع، إذ يدخل في حياة كل فرد، ومن دون هذا الأمن تنعدم راحة الإنسان في المجتمع.

ولذلك عد الأمن المجتمعي نعمة من نعم الله سبحانه على الإنسان فقال تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(٥٧).

يقصد بالأمن المجتمعي سلامة الأفراد والجماعات واطمئنانهم من الأخطار الخارجية العسكرية والداخلية بما فيها الاعتداء على الممتلكات، وهو شعور الفرد بالانتماء والاستقرار في مجتمعه وذلك مستند على وجود بناء تنظيمي مجتمعي يتسم بالثبات والاستقرار الدائم ويحدد حقوق كل فرد وواجباته في المجتمع مما يساعد على الانتماء للوطن وتوقع سلوكيات كل فرد فيه.

رأى الإمام عليٌّ (عليه السَّلام) أنَّ الطبيعة السياسية التي اتخذت من قبل الحكام قبل حكم الإمام علي (عليه السلام) قد جعلت بعض الجماعات أو الأفراد تحمل التعصب الديني والتعصب الفكري، وهذا ربما يحول من تحقيق الأمن المجتمعي الذي أراده الإسلام للمجتمعات،

فوضع الإمام علي (عليه السلام) برنامج للأمن المجتمعي يعتمد على الحرية الفكرية الواعية ظهر عبر خطبه ورسائله للولاة على البلاد ليثبت أساس الأمن المجتمعي في هذه البلاد، لاسيما وقد أرسل واليه على مصر التي قد شهدت ثورات عارمة ضد الحكم السابق عليها، لذلك ليس من السهل أن يتخذ برنامجًا للأمن المجتمعيٍّ في هكذا ولاياتٍ تعاقبت عليها حقب من الثورات الداخلية، وتعاقبت عليها سياسات مختلفة، حتى فقدت هذه السياسات الثقة والمصداقية من أبناء المجتمع نفسه، وظروف متباينة تحاكي هذه السياسات لذلك كان على الإمام علي (عليه السلام) عند وضعه لبرنامج كهذا أن يثبت أساسه في المجتمع ويحافظ على هذا الأساس مهما كان صعبا عن طريق المحافظة على مكوناته الرئيسيّة وهي توفير الكرامة والحقوق الإنسانية لأفراد المجتمع بغض النظر عن الدين والمعتقد والأصل وجعل هذه الخطوة هي الأساس الذي يقوم عليه الأمن المجتمعي وعلى الوالي أن يعامل الرعية على أساس هذا المبدأ، واتخاذ قرار تغيير الحاكم إذا أخلَّ بهذه الشروط[٥٨].

برنامج الأمن الاجتماعي الذي وضعه الإمام علي (عليه السلام):

انطلق الإمام علي (عليه السلام) في برنامجه من مبدأين:

مبدأ الاخوة في الإسلام فالمسلم أخو المسلم

ومبدأ النظير الإنساني فكل إنسان له نظيرٌ في الإنسانية[٥٩].

وفي عام ٢٠٠٢م بعد مداولات من اللجنة القانونية في الأمم المتحدة وبعد مناقشات طويلة طرح قول الإمام علي (عليه السلام) للتصويت؟ ومرت عليه مراحل

من المناقشة ثم رشح للتصويت وصوتت عليه الدول بأنَّه أحد مصادر التشريع الدولي.

وأصدرت لجنة حقوق الإنسان في نيويورك قرارها التاريخي الذي أعلنت فيه (يعد خليفة المسلمين علي بن أبي طالب [عليه السلام] أعدل حاكم ظهر في تاريخ البشرية مستندة بوثائق شملت ١٦٠ صفحة باللغة الانكليزية، وكان قول الإمام (عليه السلام) «الناس صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»[نهج البلاغة: ٣/ ٨٤.] الذي صوتت عليه الدول الأجنبية بأنّه أحد مصادر التشريع في القانون الدولي.

Kof Annan, The UN secretary states The words of Ali ibn Abi Talib, O, Malik (the people are ri ther brothers in religion or your egual in).

وكأنَّما ركَّز على المواطنة والانتماء إلى الوطن وهي ركن أساس في الأمن الاجتماعي فإذا نشأ شعور المواطنة عند الشخص فسيشعر بأنّه جزء من الكل ممّا يترتب عليه مسؤولية الحفاظ على الكل، فإنَّ المواطنة تؤدي إلى الأمن المجتمعي لا محالة، فإن لم ينتمِ الإنسان إلى الدين أو المعتقد ينتمي إلى وطن يشترك فيه مع الآخرين بروح المواطنة.

قال (عليه السلام) «أعجَزُ النّاسِ مَن عَجَزَ عَنِ اكتِسابِ الإخوانِ، وأعجَزُ مِنهُ مَن ضَيَّعَ مَن ظَفِرَ بِهِ مِنهُم»[نهج البلاغة: ٤/ ٤].

وتضمن برنامجه (عليه السلام)

١. **تثبيت الأمن النفسي:**

ومعناه الاستقرار والاطمئنان النفسي الداخلي والخارجي، وهو تحقيق الأمن النفسي عن طريق الإيمان بالله سبحانه وتوحيده.

والإيمان بالله سبحانه له جانبان: الأول: نظري والآخر: عملي تطبيقي والإيمان النظري هو الإيمان بكتب

الله وملائكته، ويعني الاطمئنان النفسي ويأتي عن طريق الإيمان بالله سبحانه وتوحيده وعدم الاشراك به، وفي ذلك قالت أم سلمة: كان النبي صلى الله عليه وآله سلم إذا خرج قال: «اللّهُمَّ إنّي أعوذُ بِكَ مِن أن أزِلَّ أو أضِلَّ أو أظلِمَ أو أُظلَمَ، أو أجهَل أو يُجهَلَ عَلَيَّ»[٦٠].

الجانب العملي يطبق هذا الإيمان عن طريق الطاعات وأداء الفرائض وتجنب المعاصي والحرمات.

ركز الإمام (عليه السلام) على العطاء النفسي المعنوي فقال لمالك «فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ»[٦١] ساوى في العطاء النفسي فلم يفرق بين غني أو فقير أو أبيض أو أسود أو أعجمي أو عربي فالكل سواء في هذا العطاء.

وقد وجه الإمام علي (عليه السلام) كلامه إلى الإنسانية (النفس البشرية الصالحة) ليؤثر فيها من الناحية النفسية بالتفكير والعاطفة حين قال (عليه السلام) «وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ». ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَالْأَنَفَ يَبْسُطِ الله عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ»[٦٢].

٢. تثبيت الأمن المكاني (السكن الأمن):

هو أمن الفرد في بيته ومكان

عمله ومجتمعه، وعندما خاطب الله نبيه ممتنا على قريش بنعمة الأمن المكاني حينما كانوا يسيرون ببلاد العرب بقوافلهم التجارية بقول ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾(٦٣).

أعطى الإمام علي (عليه السلام) السكن الأمن لكل فرد في المجتمع على الرغم من تباين المعتقدات الدينية، فثبت لكل فرد حق السكن وحق مزاولة الأعمال حسب قدرته وثمن العمل، إذ قال "الناس ابناء ما يحسنون"(٦٤).

٣. تثبيت الضمان الاجتماعي (التكافل الاجتماعي):

الضمان لغة الكفالة واصطلاحًا التأمين، والضمان الاجتماعي نظام يهدف إلى إعادة الأشخاص من العاجزين عن تأمين عيشهم لأسباب صحية أو عائلية أو اجتماعية خارج إرادتهم مثل الأيتام والأرامل والمصابين بعجز يقعدهم عن العمل والبالغين سن الشيخوخة.

والتكافل الاجتماعي هو نوع من التعاطف والتراحم بين أبناء المجتمع الواحد كالجسد الواحد، قال (عليه السلام): «وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْض، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض: فَمِنْهَا جُنُودُ الله، مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنهَا عُمَّالُ الانْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَراجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى الله سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً. فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ الله، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلاَةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الأمن، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ بِهِمْ. ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلّا بِمَا يُخْرِجُ

الله لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ. ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنْ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوَامِّهَا. وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مِمّا لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي الله لِكُلّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ»[٦٥].. بمعنى أن فساد طبقة تفسد الطبقات الأخريات.

ودعا (عليه السلام) إلى تثبيت التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع لاسيما عن طريق الخمس والزكاة. فقام (عليه السلام) بتفعيل الضمان الاجتماعي لمستحقيه من أفراد المجتمع فقال (عليه السلام) لمالك «ثُمَّ الله الله فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ -مِنَ الْمَسَاكِينِ والْمُحْتَاجِينَ وأَهْلِ الْبُؤْسَى والزَّمْنَى- فَإِنَّ فِي هَذِه الطَّبَقَةِ قَانِعاً ومُعْتَرّاً -واحْفَظْ لله مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّه فِيهِمْ- واجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ - وقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ- فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهَ لإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ»[٦٦].

وقصد الإمام علي (عليه السلام) أن هؤلاء لا حيلة لهم أي لا سبيل لهم في إدارة شؤونهم وهم في هذا السن، وفيهم المسكين أي الذي أسكنه الكبر والفقر من الحركة والبحث عن عمل، وفيهم المحتاج الذي

هو بأمس الحاجة إلى المال لإدارة حياته ومَن هو مِن أهل البؤس أي الفقر الشَّديد، ومنهم الزمني المبتلى بأمراض مزمنة وعاهات لا تعالج التي تمنعه من العمل وفي وقتنا نشير إليهم بذوي الاحتياجات الخاصة، أمَّا القانع فيقصد به السائل المحتاج إلى القليل من المال، وأحيانا يكون هذا السائل معترا أي تعرض إلى فقدان ماله مثل المسافر الذي فقد ماله، وأفراد المجتمع في بيت المال سواسية بغض النظر عن اختلاف الديانات بينهم، وأشار الإمام علي (عليه السلام) أن للقاصي لهم مثل الداني وبذلك يشير إلى تجنب التمييز في ذلك.

وقال الإمام علي (عليه السلام) **«أنتُم عِبَادُ الله، وَالمَالُ مالُ الله، يقسم بينكم بالسَّويَّة ولا فضلَ فِيه لأحدٍ عَلَى أحدٍ، للمُتَّقِينَ عندَ الله أحسنُ الجزَاءِ... فإذا كان للغدِ فاغْدُوا عَلَينا إن شَاءَ اللهُ، وَلا يَخلِفَنَّ أحدٌ مِنكُم عَرَبِيٌّ أو أعجَمِيٌّ كَانَ مِن أهلِ العَطَاء»**[موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ: ٤/ ١٠٧] بمعنى أن المجتمع الذي تسود فيه سمة الضمان الاجتماعي يشعر فيه كل فرد من أفراده بأنَّه ليس بمفرده في المجتمع، بل إنَّ هناك الآلاف يساعدونه إذا حصل له شيء.

إنَّ هذا الأمن ليس ما ينشده الإنسان في الحياة الاجتماعية فقط، وإنما يمتد إلى الحياة الأبدية[٦٧].

ولم يقف منهج الإمام علي (عليه السلام) على هذا بل تابع كل مفصل من مفاصل الدولة الإسلامية وتعاملها مع الناس حتى مع أبناء الذمة.

ومثال ذلك قصة الإمام علي (عليه السلام) مع النصراني المكفوف عندما شاهده في شوارع الكوفة يتكفف وهو شيخ كبير السن فوقف

(عليه السلام) متعجبا وقال ما هذا؟ ولم يقل من هذا؟ حيث ركّز بقوله (ما) على ظرف الشخص وليس على الشخص نفسه؛ لأن (ما) لما لا يعقل؟ فقالوا له يا أمير المؤمنين نصراني كبر وعجز ويتكفف، فقال (عليه السلام) انصفتموه استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه أجروا له من بيت المال راتبا[٦٨].

وأوضح الإمام علي (عليه السلام) أن الفقر ليس عيبا في المجتمع لكن يجب أن يتضمن صون الإنسان لكرامته ولذلك ضرب مثلا بموسى وأخوه هارون عندما دخلا على فرعون كانا فقيران، فشرطا عليه إن تُسلِم يبقى ملكك فرد فرعون بعجب، وهذا ما جاء في نهج البلاغة: «وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ(عليهما السلام) عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ - إِنْ أَسْلَمَ - بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ! وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الارَضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ. وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلا اسْتَحَقَّ الْمُؤمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا، وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنىً، وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبْصَارَ وَالأَسْمَاعَ

أَذىً. وَلَوْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّة لاَ تُرَامُ، وَعِزَّة لاَ تُضَامُ، وَمُلْك تُمَدُّ نُحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الاعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الاسْتِكْبَارِ، وَلآمَنُوا عَنْ رَهْبَة قَاهِرَة لَهُمْ، أَوْ رَغْبَة مَائِلَة بِهِمْ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً. وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالْتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَالاسْتِكَانَةُ لأَمْرِهِ، وَالاسْتِسْلاَمُ لِطَاعَتِهِ، أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً، لاَ تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ»[٦٩].

والتكافل الاجتماعي من الأبعاد المهمة في الأمن المجتمعي؛ لأنه قائم على أساس فكريٍّ عقائديٍّ، ويمكن القول إن الإمام (عليه السلام) سبق المنظرين الغرب والفلاسفة في وضع قانون للتكافل الاجتماعي والتعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد وإن اختلفوا في أديانهم تحت تحقيق العدالة الاجتماعية، واكد على دور المسؤولين في توفير فرص العيش الكريم لهم وفي ذلك قال: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ. وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ»[٧٠].

٤. حق العمل لكل فرد (وظيفة):

صرح الإمام (عليه السلام) أن الخمول والبطالة تقضي على روح العمل وأهدافه، ولأهمية العمل في فكر الإمام علي (عليه السلام) وأثره في الإنتاج قال: «لا تَطلُب سُرعَةَ العَمَلِ، وَاطلُب تَجويدَهُ؛ فَإِنَّ النّاسَ لا يَسأَلونَ في كَم فَرَغَ مِنَ العَمَلِ، إِنَّما يَسأَلونَ عَن جَودَةِ صَنعَتِهِ»[٧١].

٥. الأمن الاقتصادي

أحد مكونات الأمن الاجتماعي هو قوة الاقتصاد وأمنه فإذا كان المجتمع يسوده اقتصاد مزدهر

لأبنائه في جميع مجالاته الحيوية فإنه يكون حلقة اقتصادية متكاملة لا تنفصل ولا ينفك بعضها عن بعض وتكمل بعضها بعضا.

قال الإمام علي (عليه السلام) «السَّخَاءُ أَنْ تَكُونَ بِمَالِكَ مُتَبَرِّعاً وَعَنْ مَالِ غَيْرِكَ مُتَوَرِّعاً»[عيون الحكم والمواعظ: ٥٨] وإذا كان في المجتمع إنسان محتاج اقتصاديا، فإن ذلك سيشكل ثغرة اجتماعية ومن ثَمَّ سيقع تأثيرها على الأمن الاجتماعيّ.

ويؤدي التعاون الاقتصادي إلى الأمن الاجتماعي ويؤثر فيه من الناحية الإيجابية إذا كان إيجابيا ومن الناحية السلبية إذا كان سلبيا.

٦. تحقيق العدالة الاجتماعية:

قد ذكر العدل في القرآن الكريم بمجالات مختلفة ويجمعها قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾(٧٢).

العدل أصل من أصول الدين، ويعرف بأنَّه إعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه مما يؤكد اختلافه عن المساواة كمفهوم يختزل مراعاة التساوي بين أطراف عدة.

أكد الإمام علي (عليه السلام) أن الناس جميعا نظراء في الخلق الإنساني ولا تمييز بينهم إلَّا بالتَّقوى الأمر الذي يستوجب معاملتهم على وفق العدالة الاجتماعية وبما يتوقعونه من هذه العدالة كأفراد في مجتمع واحد تسودهم الرعاية الاجتماعية.

وأكد الإمام علي (عليه السلام) أيضًا أن العدالة الاجتماعية تأتي من التعامل مع الآخر على أساس الأخوة في الإنسانية وإن تباينوا في أنسابهم ومعتقداتهم الفكرية، وإنَّ هذا التعامل لا يتوقف على التَّعامل الظَّاهري، وإنَّما يكون مستندا على التعامل النفسي الداخلي.

وأوضح الإمام علي (عليه السلام) أن الأحكام الخاصة بالقضاء تسري على جميع أفراد المجتمع

بـما فيهـم الخليفـة نفسـه، وقـد وقـف الإمـام عـلي (عليـه السـلام) متخاصـما مع يهـودي يدَّعـي أن درع الخليفـة هـي درعـه وعندمـا لا تكـون هنـاك بينـة للخليفـة يحكـم القـاضي بأيلولـة الـدرع لليهـودي الـذي لم يكـن يشـعر بـأي مـن درجـات التمييـز(٧٣).

ركـز الإمـام عـلي (عليـه السـلام) عـلى المسـاواة الاجتماعيـة بـين طبقـات المجتمـع، فقسـم الفـيء والمـال بـين المسـلمين بالتسـاوي وأوضـح أن الإنسـان لا يتميـز عـن أخيـه الإنسـان إلّا بالتقـوى فقـال في ذلـك.

«أَلاَ وَأَيُّـمَا رَجُـلٍ مِـنْ الْمُهَاجِريـنَ وَالأَنْصَـارِ مِـنْ أَصْحَـابِ رَسُـولِ اللهِ يَـرى أَنَّ الفَضْـلَ لَـهُ عَـلى سِـوَاهُ بِصُحْبَتِـهِ، فـإنَّ الفَضْـلَ غَـداً عِنْـدَ اللهِ، فَأَنْتُـمْ عِبَـادُ اللهِ وَالمَـالُ مَـالُ اللهِ يُقْسَـمُ بَيْنَكُـمْ بالسَّـوِيَّةِ وَلا فَضْـلَ فِيـهِ لأَحَـدٍ عَـلى أَحَـدٍ»(٧٤). وبذلـك منـع اسـتئثار شـخص عـلى شـخص آخـر أو تمايـز مجموعـة عـلى أخـرى، وعـبر الإمـام عـلي (عليـه السـلام) عـن العدالـة الاجتماعيـة في الحقـوق بـأدق تعبـير عندمـا كتـب لمالـك «إِيَّـاكَ وَالِاسْـتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ» وكتب «لم ارى في هـذا المـال لأبنـاء اسـماعيل دون غيرهـم، وإن آدم لم يولـد عَبـدا ولا أَمَـة».

وقـال (عليـه السـلام): «الْعَـدْلُ يَضَـعُ الْأُمُـورَ مَوَاضِعَهَـا وَالْجُـودُ يُخْرِجُهَـا مِـنْ جِهَتِهَـا وَالْعَـدْلُ سَـائِسٌ عَـامٌّ وَالْجُـودُ عَـارِضٌ خَـاصٌّ فَالْعَـدْلُ أَشْرَفُهُمَـا وَأَفْضَلُهُمَا»[نهـج البلاغـة ٤٠١].

وقـال (عليـه السـلام): «لَـنْ تُقَدَّسَ أُمَّـةٌ لاَ يُؤْخَـذُ لِلضَّعِيـفِ فِيهَـا حَقُّـهُ مِـنَ القَـوِيِّ غَـيْرَ مُتَتَعْتِـعٍ. ثُـمَّ احْتَمِلِ الخُـرْقَ مِنْهُـمْ وَالْعِـيَّ، وَنَـحِّ عَنْهُـمُ الضِّـيقَ وَالأَنَـفَ يَبْسُـطِ اللهُ عَلَيْـكَ بِذلِـكَ أَكْنَـافَ رَحْمَتِـهِ، وَيُوجِـبُ لَـكَ ثَـوَابَ طَاعَتِـهِ. وَأَعْـطِ مَـا أَعْطَيْـتَ هَنِيئـاً، وَامْنَـعْ فِي إِجْمَـالٍ وَإِعْـذَارٍ»(٧٥).

كان منهج الإمام علي (عليه السلام) العدالة الإنسانية في المجتمع الذي يتضح فيه المعتقد، وإن هذه العدالة ينبغي أن لا تمس هذه الحرية، بل الإنسان يعامل على أنه فرد اجتماعي بغض النظر عن معتقداته الأخرى وفي ذلك قال (عليه السلام) لمحمد بن أبي بكر «**وبالعدلِ عَلَى اهلِ الذِّمة وبإنصاف المظلُوم وبالشِّدة على الظَّالمِ وبالعفو عن النَّاسِ والإحسان ما استطعت ولْيَكن القَرِيبُ وَالبَعِيدُ عندك في الحقِّ سواء**»(٧٦).

قال (عليه السلام): «**أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ، وَمُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِئَ؛ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنُوِّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ**»(٧٧).

لذلك فإن حفظ العدل في التعايش السلمي يؤدي إلى الأمن المجتمعي، وبالعكس فان العدل في الأمن المجتمعي يؤدي إلى التعايش السلمي أيضًا، والعدل من مقويات المجتمع، وأصبح للعدل معنى وظيفي في الأمن المجتمعي.

ومهما كانت هذه الطبقات الاجتماعية لابد من أن جميعها تدخل في التعايش السلمي وهذه الطبقات ربما يكون بعضها غير داخل في الإسلام.

عمل الإمام علي (عليه السلام) بعدالة اجتماعية لتكوين مجتمع فاضل مستندا على مبادئ الإنسانية في التعايش السلمي مشكلا نظاما للتعايش في جميع الطبقات فقال (عليه السلام): «**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ**»(٧٨)

وفي رسالة وجهها الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر يدعوه إلى العدل مع جميع أفراد المجتمع وأن لا يفرق بين طبقة وأخرى أو دين وآخر فقال (عليه السلام): «فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ»[نهج البلاغة: ٣/ ٨٤] ونتيجة العدالة الاجتماعية استتباب الأمن المجتمعي، وفي ذلك كتب الإمام علي (عليه السلام): «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا»[نهج البلاغة: ٣/ ٨٢- ٨٣].

يتضمن هذا الكتاب استصلاح أهل مصر والرعاية الاجتماعية لهم، وعمارة بلادهم، ثم قال (عليه السلام): «وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ»[نهج البلاغة: ٣/ ٨٥].

ثم قسم طبقات المجتمع فقال (عليه السلام): «فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ»[نهج البلاغة: ٣/ ٨٩- ٩٠].

عدالة الإمام علي (عليه السلام) ليست أسطورة ولا نظرية تدرس ثم تطبق بل هو تعامل إمام لم تغيره وظيفة الخلافة عن وظيفته الإمامية؛ ولذلك رجح مسؤوليته على عاطفته.

لم يزد الإمام علي (عليه السلام)

على مقدار عطاء أخيه عقيل من بيت المال مع أنَّ أخاه كان بأشد الحاجة إلى المال، لينفق على أولاده الذين غيرهم الفقر إلى اللون الأصفر والشعر الأشعث، فلما جاء يطلب من أخيه المال ليساعده على الحياة قال له الإمام (عليه السلام): «وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ، أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظَى»[٧٩].

إنَّ عدل الإمام لا يعني المساواة بين المحسن والمسيء؛ لأنَّ في ذلك ظلما لأهل الإحسان وفي ذلك قال «وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ»[٨٠].

وعندما وجد الإمام (عليه السلام) حصة الأعيان والوجهاء أكثر من حصة الطبقة الكادحة والفقيرة من بيت المال وتقسيم الغنائم، ساوى بينهم، فلما عاتبوه على ذلك قال لهم: «وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسْوَةِ فَإِنَّ ذلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَلَا وَلِيتُهُ هَوىً مِنِّي. بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ فُرِغَ

مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ. فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللهِ عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى. أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ ثم قال (عليه السلام) رَحِمَ اللهُ رَجُلاً رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ»[نهج البلاغة: ٢/ ١٨٥].

واشار إلى تجنب الظلم «يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ... وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ»[نهج البلاغة: ٣/ ٤٥] وقال (عليه السلام): «أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً»[٨١].

قال للحسنين (عليهما السلام) «قُولا بِالْحَقِّ، وَاعمَلا لِلأجرِ وَكُونا لِلظالِمِ خَصما وَلِلمَظلومِ عَونا»[٨٢].

قال الإمام علي (عليه السلام): «إنَّ الله تبارك وتعالى ينادي كلَّ ليلةِ جمعة من فوقِ عرشِهِ مِن أوّل اللَّيلِ إلى آخره، ألا عبدٌ مؤمنٌ مظلومٌ يسألني أن آخذَ له بظلامته قبلَ طُلُوعِ الفَجرِ فأنتصرَ له وآخذ له بظلامتِه، قال فما يزالُ ينادي بهذا حتَّى يَطلعَ الفَجرُ»[٨٣].

ينبغي أن يُنزع الغل في التعايش السلمي وفي ذلك قال سبحانه يصف الأمن في الجنة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف ٤٣].

عامل الإمام (عليه السلام) الإنسان كفرد اجتماعي بغض النظر عن معتقده وفي ذلك قال (عليه السلام) لمحمد بن أبي بكر: «وبالعدلِ عَلَى اهلِ الذِّمة وبإنصاف

المظلُوم وبالشِّدة على الظَّالمِ وبالعفو عن النَّاسِ وبالإحسان ما استطاع... ويَكون القَرِيبُ وَالبَعيدُ عندك في الحقِّ سواء»[تحف العقول عن آل الرسول: ١٧٦].

إن العدالة الاجتماعية لا تقتصر على العدالة للجماعات الإسلامية فقط وترك الجماعات الأخرى التي تعيش في المجتمع الإسلامي.

وإنما العدالة الاجتماعية تتمثل في احتضان الناس من الديانات الأخرى الموحدة كالمسيحية واليهودية إلى جانب الديانة الإسلامية، ومن هنا جاء الدين الإسلامي بتثبيت قواعد المساواة بين أفراد المجتمع على أساس الإنسانية وليس على أساس الدين فقط.

اهتم الإمام علي (عليه السلام) بالعدالة الاجتماعية، إذ قام بإلغاء النظام الذي كان متبعا قبله في العطاء وتقسيم العطاء على أساس الهجرة والسابقة في الإسلام، والقرابة من الرسول (صلى الله عليه وآله) وأبدله بنظام المساواة في العطاء والحقوق بين المسلمين، وهذا ما جعل كثيرًا منهم يفر إلى معاوية طلبا للمال.

ولما طبق الإمام علي (عليه السلام) هذا المنهج عمليا جاء إليه بعض رؤساء القبائل يرجونه أن يرجع عن هذا المنهج، ويكون العطاء كالسابق لكي لا يذهب عنه أكثر الناس طالبين للمال فقالوا له يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن تخاف منهم فراره إلى معاوية فقال لهم (عليه السلام): **«أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ لَا وَاللهِ لَا أَفْعَلُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَاحَ فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ وَاللهِ لَوْ كَانَ مَالُهُمْ لِي لَوَاسَيْتُ بَيْنَهُمْ وَكَيْفَ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْوَالُهُم»**[الحر العاملي، ج ١٥، ص ١٠٧].

٧. **الاستقامة في التعايش:**

يقصد بها اتباع القاعدة المثلى في التعايش السلمي، ركَّز الإمام علي (عليه السلام) على أن حق الحياة والتعايش السلمي مكفول للجميع وقال: «مَنْ أَعَانَ عَلَى مُؤْمِنٍ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الْإِسْلَامِ»[تحف العقول عن آل الرسول: ١٧٦]، وعلى كل إنسان أن يتجاوز الغيبة وعورات الآخرين فقال يرشدهم «فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ»(٨٥).

أكد على ضرورة الاستقامة واتباع القاعدة المثلى للتعايش السلمي وهي: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ - فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ - واكْرَه لَه مَا تَكْرَه لَهَا - ولَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ - وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ - واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُه مِنْ غَيْرِكَ - وارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاه لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ»(٨٦).

ولقد حققت القيم الإسلامية المساواة بين الناس كافة، إذ لا فرق بين غني ولا فقير ولا ضعيف أو قوي ولا عربي أو أعجمي إلَّا بالتقوى. وبذلك حقق الإسلام عالميته عن طريق الدعوة إلى أسلمة بني البشر كافة تحت مظلة إنسانية واحدة اذ يقول سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٨٧).

ومن كلام له (عليه السلام) وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين فقال (عليه السلام) «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا

وَدِمَاءَهُمْ»[٨٨].

٨. التوازن في العلاقات الاجتماعية

دعا الإمام علي (عليه السلام) إلى التوازن في العلاقات الاجتماعية؛ ذلك لأنها تدعو إلى استقرار المجتمع، فأراد أن يبين أن الحياة الاجتماعية مبنية على العقل والعاطفة معا وإن طغى أحدهما على الآخر[٨٩]؛ ولذلك قال (عليه السلام): «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»[نهج البلاغة: ٤/ ٦٤].

أراد أن يوضح (عليه السلام) أنه على الإنسان أن يبدأ الاخرين بالفضل والإحسان ليساعدهم على مبادلته إياه، وإلَّا لو أحجم كل شخص عن الإحسان إلى أخيه الإنسان لاتسعت الفجوة في المجتمع وضعف الأمن الاجتماعي وضعف التعايش السلمي وعندئذ لا يكون هناك فرق بين الشخص صاحب الرسالة وبين صاحب رسالة التعايش السلمي في المجتمع فالأمن المجتمعي يفرض على المجتمع بناء قواعد متوازنة سليمة لتعايش أبنائه قائمة على أسس القيم الإنسانية التي جاء بها القرآن الكريم، فهي تدعو إلى الاندماج والانتماء الجماعي وفي ذلك قال تعالى يحث المؤمنين على التعايش السلمي مع الآخرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة ١١٩]

وروى الصدوق عن محمد بن موسى المتوكل عن عبد الله بن جعفر الحميري عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن الحسين بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول «لئن أصلح بين اثنين أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّقَ بدينارين»[٩٠].

وفي ذلك قال الإمام علي (عليه السلام) «لاَ تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اِتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ ضَيَّعْتَ حَقَّهُ، وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى اَلنَّاسِ بِكَ، اِقْبَلْ عُذْرَ أَخِيكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُذْرٌ فَالْتَمِسْ لَهُ عُذْراً، لاَ يُكَلِّفُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ اَلطَّلَبَ إِذَا عَرَفَ حَاجَتَهُ، لاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ، وَلَا تَزْهَدَنَّ فِيمَنْ رَغِبَ فِيكَ، إِذَا كَانَ لِلْمُخَالَطَةِ مَوْضِعٌ، ولا تُكْثِرَنَّ اَلْعِتَابَ فَإِنَّهُ يُورِثُ اَلضَّغِينَةَ، وَيَجُرُّ إِلى اَلْبَغِيضَةِ، وَكَثْرَتُهُ مِنْ سُوءِ اَلْأَدَبِ»[٩١].

٩. حقُّ التَّعليم

اتَّصف الإمام علي (عليه السلام) بحركة تعليمية دائمة لمجتمعه وأصحابه الذين كانوا كمدرسين ينشرون العلم والمعرفة بين الناس عن طريق المحاضرات التعليمية والخطب واعتمد عليهم في اختيار عمَّاله على البلدان وكانوا يتمتعون بالمعرفة والوعي والإدراك ليكونوا إلى جانب عملهم الإداري معلمين، ورجال رسالة إنسانية في التعايش السلمي ومن ذلك قثم بن العباس عامله على مكة، قال له يحثه: «أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ اَلْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اَللهِ، وَاِجْلِسْ لَهُمُ اَلْعَصْرَيْنِ، فَأَفْتِ اَلْمُسْتَفْتِيَ، وَعَلِّمِ اَلْجَاهِلَ وَذَاكِرِ اَلْعَالِمَ، وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلى اَلنَّاسِ سَفِيرٌ إِلّا لِسَانُكَ، وَلَا حَاجِبٌ إِلّا وَجْهُكَ. وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا. وَانْظُرْ إِلى مَا اِجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اَللهِ فَاصْرِفْهُ إِلى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي اَلْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ، مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ اَلْمَفَاقِرِ اَلْفَاقَةِ وَالْخَلَّاتِ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا. وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَإِنَّ اَللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿سَوَاءً اَلْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ فَالْعَاكِفُ: اَلْمُقِيمُ

بِهِ، وَالْبَادِي: اَلَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَفَّقَنَا اَللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ، وَالسَّلاَمُ»(٩٢).

يعني التعليم التغيير الإيجابي الصحيح في المجتمع، لقد جاء الإمام علي(عليه السلام) بمفاهيم تعليمية كان قد اتخذها الرسول (صلى الله عليه وآله) في الرسالة وهي تؤدي إلى تغيير المفاهيم السابقة في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد إلى درجة عالية من الأمن المجتمعي، وأدت المفاهيم الجديدة إلى تكوين علاقات جديدة تؤدي إلى الأخوة والتغيير في الطبقات الاجتماعية، لا تستند على المال والنَّسب أو القوة الحربية بل تستند على التقوى مقارنة بما كان المجتمع في العصر الجاهلي فقال (عليه السلام): «إِنَّ اللهَ سُبحانَه بَعَثَ مُحَمَّداً نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ»(٩٣).

أكد الإمام علي (عليه السلام) أن العلم أساس رقي كل مجتمع وأراد استمرار العلم والتعلم منه فقال (عليه السلام): «جَالِسْ أَهْلَ الْوَرَعِ وَالْحِكْمَةِ، وَأَكْثِرْ مُنَاقَشَتَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلًا عَلَّمُوكَ، وَإِنْ كُنْتَ عَالِماً ازْدَدْتَ عِلْماً»(٩٤) فمن تزود بالعلم وطبقه بشكل صحيح أدرك عقلية الشخص المقابل وفسر تصرفه بما يتلاءم مع مدخلاته العلمية والأدبية والثقافية، وأشار (عليه السلام) إلى أن التزويد بالعلم لا يحكمه سن معين فهو مستمر.

وأعطى للإنسان حرية طلب العلم وتعليمه للآخرين وأعطى أهمية للتلاقح في العلم وكان معياره

العمل الحسن ورفض التفاخر بالأنساب فقال (عليه السلام) «وعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ»[شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٥٢.].

١٠. إلغاءُ التَّمايز العنصري بين أفراد المجتمع

إن المجتمع الإسلامي كغيره من المجتمعات يضم مجموعات كبيرة من مختلف الجنسيات بسبب توسع الفتوحات الإسلامية سابقا وبسبب دخول أعداد كبيرة من مختلف الدول إلى الإسلام، وإن هؤلاء المسلمين في القانون الإسلامي يتمتعون بحقوق العرب المسلمون نفسها، وعليهم واجبات المسلمين العرب نفسها، إلّا أنهم من الناحية الواقعية يعانون من التمييز العنصري، وعند تسلم الإمام علي (عليه السلام) الخلافة ألغى هذه العنصرية مما أثار ردود فعل سلبية عند زعماء القبائل لتساوي غير العربي مع العربي واقعا، وطالما ذهب بعض العرب ليطلب من الإمام علي (عليه السلام) أن لا يساوي بين العرب والعجم والسيد والمولى وفي ذلك روى علي بن محمد بن أبي سيف المدائني أن طائفة من أصحاب علي (عليه السلام) مشوا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين: أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، واستمل من تخاف خلافه من الناس وفراره، وإنما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال، فقال لهم: «أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ، فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللهِ لاَ أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! ولَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ!. ثم سكت طويلا واجما، ثم قال: الأمر أسرع من ذلك»[٩٥].

وهو يعني لا أطور به أي لا أجور

فيمن وليت عليهم، ما سمر سمير: أي مدى الدهر.

«أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ، وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، إِلّا حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ، وَالْأَمُ خَدِينٍ»[٩٦].

انتهج الإمام (عليه السلام) أسلوب العدل الاجتماعي وإلغاء أي شكل من أشكال التمايز العنصري بين أفراد المجتمع؛ لأنَّ التمايز العنصري يولد شكلًا من أشكال الكراهية في المجتمع؛ لأنَّ بعضهم ينتمي إلى ديانات مختلفة ولعل أبرز مثال على ذلك مثال الرجل المسيحي البصير الذي كان يسأل الناس في مسجد الكوفة فهنا يتضح أن الإمام علي (عليه السلام) ساوى بينه وبين المسلم في الإنفاق عليه من بيت المال وذلك لحفظ الكرامة الإنسانية لأطياف المجتمع، وهذا ما ذكر في تهذيب الأحكام عن محمد بن أبي حمزة عن رجل بلغ به أمير المؤمنين (عليه السلام): مر شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ما هذا؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين، نصراني! قال: فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): استعملتموه، حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال[٩٧].

١١. الابتعاد عن التعصب الفكري:

إنَّ الإمام علي (عليه السلام) استلم الخلافة في وضع سياسي عاصف لذلك كان لابد من أنَّ يستعين بحكم التاريخ ليعظ الناس من مواقف عنصرية كان يرى أنَّ هذه العنصرية تؤدي إلى هلاك

المجتمع، وأنَّ المجتمع الذي تكثر فيه النزاعات الداخلية العنصرية تجعله مجتمعًا متآكلًا؛ ولذلك واجه الإمام (عليه السلام) ذلك بشتى الأساليب ولجميع الديانات التي كانت في الجزيرة، ومن هذه الأساليب أشار الإمام (عليه السلام) إلى الانحطاط الأخلاقي للأمم ومصارعها الّذي لا يرد إلى أسباب غيبية وإنما لأسباب موضوعية واقعية.

لذلك أكَّد الإمام علي (عليه السلام) على الابتعاد عن التعصب الفكري إلّا في أمور كمكارم الأخلاق ومحاسن الأمور والآثار المحمودة والأخذ بالفضل والكف عن البغي والإنصاف للخلق واجتناب المفاسد في الأرض.

وأشار (عليه السلام) إلى ذلك بقوله: «فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا»[نهج البلاغة: ٢/ ١٥٤].

وهو بذلك يدعو إلى التآلف بين أبناء المجتمع الواحد وإزالة التناحر، وأنّ لكل معتقد يعتقد به الشخص قيمة وجدانية عنده، فإنَّ هذه القيمة محفوظة له كإنسان، تنص على ذلك قاعدة الأمن الاجتماعي.

وأكد على حرية المعتقد: قال (عليه السلام) «لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرًّا»[٩٨] وقصد بالحرية هنا الحرية الفكرية بأنَّ الإنسان يكون مقتنعًا بكل فعل يقوم به، وعدَّ الحرية الفكرية صفة ملازمة للإنسان لا تنفصل عنه وأكَّد أن الحرية الفكرية تجعل الفرد مخيَّرًا عن اقتناع وإيجابية.

شرط أن لا تُلحق هذه الحرية أذى بالجماعة، فالناس أحرار في معتقداتهم ولمختلف الطبقات الاجتماعية وهذه

الحرية لا تقتصر على الأثرياء فقط، وفي ذلك قال الإمام علي (عليه السلام): «فَلا تَستَصغِرَنَّ عَبدا مِن عَبيدِ اللهّ فَرُبَّما يَكونُ وَلِيَّهُ وأنتَ لا تَعلَمُ»(٩٩).

وتتضمن حرية المعتقد الاقتناع بالمعتقد أو الدين وليس التقليد، بمعنى ضرورة دخول الإنسان في الدين يكون قائما على أساس القناعة الفكرية والحرية الشخصية وليس على أساس محاباة لشخص آخر أو التماهي معه فقال في ذلك «مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ بِالرِّجَالِ أَخْرَجَهُ مِنْهُ الرِّجَالُ كَمَا أَدْخَلُوهُ فِيهِ، وَمَنْ دَخَلَ فِيهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ زَالَتِ الْجِبَالُ قَبْلَ أَنْ يَزُولَ»(١٠٠).

١٢. سيادة القانون

يقوم الأمن المجتمعي على التشريعات والأنظمة القانونية التي تضمن حقوق كل فرد من أفراد المجتمع، وتتضمن التحلي بالقوانين الشرعية، وتعامل الوالي بالعدالة الاجتماعية مع الشعب، وتطبيق التشريعات القانونية على الجميع. حينها يشعر كل فرد بالأمان والاطمئنان النفسي على نفسه وماله وعياله عند سيادة القانون، يقصد بذلك التعدي على حرمة مؤمن هو تعدي على الأمن الاجتماعي.

لذلك إن سيادة القانون تثبت الأمن المجتمعي المستند على القيم الاجتماعية الأصيلة، وكلما ساد القانون في المجتمع أدى ذلك إلى ترجمة القيم النبيلة إلى أفعال وغير النبيلة إلى تركها وتجنبها.

فسيادة القانون تترجم قيم المجتمع إلى أفعال وسلوكيات التي ربما تكون من المشهورات التي تنطبق عليها آراء العقلاء سواء كانوا مسلمين أم من الديانات الأخرى؛ لأنَّ لهم الحقوق نفسها في القانون، وأنَّهم في مأمن نفسي واجتماعي طالما

كانت السيادة للقانون الإسلامي.

فالقانون يؤدي إلى التعايش السلمي وبناء مجتمع يحاكي الهوية الوطنية بغض النظر عن اختلاف الديانات والمعتقدات، وأفضل مثال على ذلك جاء مواطن يهودي إلى الحاكم المسلم ليقضي له مع الإمام علي (عليه السلام) على درع فقال الإمام (عليه السلام) لليهودي الدرع درعي ولم أهب ولم أبع، فقال اليهودي الدرع لي وفي يدي فسأل القاضي عن بينة فقال الإمام علي (عليه السلام) قنبر وابني الحسين يشهدان بذلك فأجابه شريح القاضي لا تجوز شهادة الابن لأبيه ولا شهادة العبد لسيده فقال له الإمام إنَّك تعلم أني لا أقول باطلا ثم بعدها اعترف اليهودي بأنَّ الدرع للإمام (عليه السلام)[١٠١].

فلسفة الإمام علي (عليه السلام) في الأمن المجتمعي

الأمن المجتمعي: هو اطمئنان الأفراد والمجتمع من الأخطار الداخلية والخارجية التي تواجههم ومنها الإرهاب وتفشي الجريمة كالقتل والاختطاف والاعتداء على الممتلكات[١٠٢].

والأمن المجتمعي هو قاعدة أساسية في المجتمع، وهو الأمن الذي تطمئن فيه النفوس، ويسكن فيه الفقير والضعيف، بمعنى إنه حالة من الاستقرار تفترض وجود بناء تنظيمي أو تنظيم جماعي اتفاقي يشعر الأفراد بالانتماء إليه، ويتسم بالثبات والاستمرار ويحدد حقوق الأفراد وواجباتهم مما يساعد على توقع سلوكيات أعضاء التنظيم الاجتماعي في الحالات التفاعلية. لذلك قال الحكماء (الأمن أهنأ عيشا، والعدل أقوى جيشا)[١٠٣].

لذلك يمكن تفسير الأمن المجتمعي على أنَّه أساس اجتماعي

يؤدي إلى شعور الفرد بالطمأنينة نتيجة وجود قواعد أساسية من التشريعات السلوكية المنظمة على وفق حقوق ثابتة للإنسان وانتمائه للمجتمع بغض النظر عن دياناته.

ويعزز الأمن المجتمعي نفسية أبناء المجتمع بحيث يولّد ثقة متبادلة بينهم في انتمائهم إلى المجتمع، ومن مفاهيم الأمن المجتمعي:

اولا: على الحاكم الرفق مع الشعب

رسم الإمام علي (عليه السلام) الاتجاه الصحيح في تعامل الحاكم مع الرعية، فكان له منهج في التعامل ومنهج واضح للسير في خطواته، فعبر عن هذا المنهج بمختلف المواقف الواقعية التي تتطلب أحيانا الحزم في التصدي للانحرافات وتحمل نتائج هذا التصدي، وتارة أخرى تطبيق منهج يحمل رؤية واضحة لتوزيع العدالة الاجتماعية توزيعا عادلا لجميع فئات المجتمع تعتمد على الحكم الشرعي.

وكان الشعب لا يتضمن المسلمين فقط بل يضم أبناء ديانات أخرى مثل المسيحية واليهودية وغيرها؛ لذلك اتخذ أسلوبا جديدا في كيفية التعامل مع هذه الفئات فأرسى قواعد الأمن الاجتماعي التي تشعر الجميع بالمساواة والطمأنينة والعدل وقال في وصيته لمالك الأشتر (واشعر قلبك ....) وأكّد في ذلك على تقبل الإنسان بما يحمل من فكر ومعتقد ديني، وأكَّد على التعامل وما ينتجه من حالة نفسية للمقابل مثل أن يشعره بالتمييز والتوقع غير المرغوب.

وأشار إلى التعامل الحسن من قبل الراعي للرعية ومنحهم حرية الاعتقاد والتفكير بما يعتقد من واجبات الراعي لرعيته ولا يكرههم على شيء لا يرغبون به.

لذلك أكّد في تنصيب الوالي

على الكفاءة في إدارة شؤون الولاية والأمانة في الصدق والسيرة الحسنة، والمعايير الأخلاقية الأصيلة فقال (عليه السلام) «لَكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلاً وَعِبَادَهُ خَوَلاً وَالصَّالِحِينَ حَرْباً، فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ، وَجُلِدَ حَدّاً فِي الإِسْلاَمِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الإِسْلاَمِ الرَّضَائِخُ»[نهج البلاغة: ٣/ ١٢٠].

إنَّ أوضاع الدولة لا تصلح إلَّا إذا كان الوالي كفوءًا في عمله ومخلصا لشعبه ومساويا للحقوق في رعيته وعلى الوالي إعطاء الحقوق للشعب بالتساوي.

إنّ بعض الولاة رضخ للأمر وبعضهم لم يتقبل الأمر، وكأنما أصبح ملكا له مثل معاوية الذي أسلم بعد عام الفتح إضافة إلى قيامه بقتل الأشخاص المؤمنين؛ لذلك فإن وجود مثل هكذا رجل في السلطة يشكل خطرًا على المسلمين.

إن معاوية لم يتقبل برنامج الإمام علي (عليه السلام) في الإصلاح والأمن المجتمعي، وبدأ بأمور يتحجج بها في البقاء بالسلطة مثل مقتل عثمان، إذ أوهم أهل الشام أن الإمام علي (عليه السلام) هو الذي قتل عثمان أو اشترك في قتله.

ثانيًا: ارجاع منهج الخلافة إلى منهج الرسول (صلى الله عليه وآله).

دخل الإمام علي (عليه السلام) للأمة بمنهج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في العمل السياسي والاجتماعي معا، وكأنما رجع منهج الخلافة من الخلفاء الذين قبله إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ لذلك أراد أن يبني للمجتمع أساسيات جديدة منها الأمن المجتمعي، وهذا المفهوم يحتاج إلى وعي جماهيري يدعو إلى القضاء على مظاهر الفساد

الإداري آنذاك، وأراد أن يبين ضرورة محاربة الفساد والوقوف بوجهه وأن يدرك المجتمع الفرق بين الفساد والأمن المجتمعي.

ولأجل هذا التغيير الاجتماعي اعتمد الإمام على رجال عرفوا بثباتهم وشوقهم لإعادة بناء المجتمع والإصلاح الاجتماعي.

قال الإمام (عليه السلام) مخاطبا الشعب: «وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً»[نهج البلاغة: ١/ ١٨٢.] قال لهم ذلك عندما جاءوا إليه ليطلبوا منه تسلُّم الخلافة.

بمعنى أن أتباحثَ معكم في الأمور التي فيها القرارات الحاسمة والتي تستبق إصدار الأوامر والقرارات التي تتطلب قاعدة فكرية واعية من الناس قد وطنت نفسها على غور غمار الصعوبات من أجل إثبات العدالة الاجتماعية.

فكانت خلافته نقطة تحول في المجتمع الإنساني فقد ربط بين امتداده لخط النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وخط الإنسانية وخط القضاء على الفساد الاجتماعي.

استلم الإمام علي (عليه السلام) الخلافة والدولة مثقلة بالمشكلات، وكان عليه كخليفة مواجهتها ووضع الحلول لمعالجتها لاسيما معالجة الخروقات في بيت المال من الذين سُمح لهم في خلافة عثمان أن يستأثروا ويكونوا ثروات ضخمة فبين لهم أهدافه التي لن يتراجع عنها في خطبه الاصلاحية.

ومن هذه الخطب قال: «أَنَا رَجُلٌ مِنكُم، لِي ما لَكُم وعَلَيَّ ما عَلَيكُم، وقَد فَتَحَ اللهُ البابَ بَينكُم وبَينَ أهلِ القِبلَةِ وأقبَلَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ، ولا يَحمِلُ هذَا الأَمرَ إلّا أهلُ الصَّبرِ وَالبَصَرِ وَالعِلمِ بِمَواقِعِ الأَمرِ وإنّي حامِلُكُم عَلى مَنهَجِ نَبِيِّكُم ومُنَفِّذٌ فيكُم ما اُمِرتُ بِهِ»[شرح نهج

البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ ٣٦].

نستنتج من خطبة الإمام (عليه السلام) أمورا عدة أكّد عليها، وهي: إن المسلمين باختيارهم اتخذوه خليفة لهم وهو رافض للخلافة بهذا التأزم والمشكلات الكثيرة التي اثقلت كاهل الدولة، وبيَّن لهم أن خلافته ستكون على نهج النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ليس فيها فوارق طبقية.

ثالثًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١٠٤).

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأساليب الديناميكية في الأمن الاجتماعي فهو يعمل باتجاهين اتجاه صلاح المنكر واتجاه الارشاد والتوجيه، وهذا يعني إن هذا الأسلوب أسلوب مرن ديناميكي لأنه ذو فاعلية في المجتمع.

وإنَّ هذا الأسلوب ينمي السلوكيات الإيجابية في التعايش ويضعف السلبية.

وإنَّ المنكر الذي قد يرتكبه المذنب قد يسبب فقدان التوازن الاجتماعي ومن أجل إعادة توازن المجتمع لابدَّ من معاقبة المذنب إذا كان الذنب أمورا مادية أو دفع كفارة إذا كان الذنب أمورا معنوية، مثلًا أن يدفعَ كفارة من المال من يفطر يوما في شهر رمضان أو أن يطعم ستين مسكينا ويسمى هذا المال المدفوع بالكفارة وهي أسلوب من أساليب تحقيق الأمن الاجتماعي فقال الإمام (عليه السلام): «اُحْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ»[نهج البلاغة: ٤/ ٤٢] وقال «احْتَمِلْ

أخاكَ على ما فيهِ، ولا تُكْثِرِ العِتابَ؛ فإنّهُ يُورِثُ الضَّغينَةَ»[١٠٦].

ولقد أكَّد الدين الإسلامي ضرورة اتصاف الإنسان المسلم بقيم أخلاقية إيجابية نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنها من أقوى الوسائل في حماية الأخلاق الفردية والاجتماعية وهي من أهم مظاهر الأخوة والتكافل الاجتماعي بين الناس.

رابعًا: أسباب عدم الأمن المجتمعي:

١. الصراع القبلي (العشائري)

إن أهل الكوفة كانوا قبائل فإن مرَّ الرجل بمنازل قبيلة أخرى فنادى باسم قبيلته مثلا يا لكندة يقصد به الفتنة، يتألب عليه فتيان القبيلة التي هو بها فيضربونه مما يؤدي به إلى أن يستصرخ قبيلته.

وقد بين لهم الإمام (عليه السلام) أن العنصرية والأحقاد لا تؤثر فقط على الدين والقبيلة وإنما لها تأثير أكبر على الأمن المجتمعي، وربما تستمر إلى أولادهم فيما بعد.

لعلنا ندرك فن الحوار وكأنما هو تأنيب عندما خاطب الإمام علي (عليه السلام) أهل الكوفة ليبيّن لهم بعض السمات السلبية التي قد تقضي على تماسكهم ووحدتهم.

ثم يعود إلى تأنيب سامعيه على ما هم عليه من روح قبلية وتعصب عنصري ذميم مبينا لهم مرارة هذا التعصب فيقول: «أَلا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الأَرْضِ مُصَارَحَةً للهِ بِالْمُنَاصَبَةِ وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ»[نهج البلاغة: ٤/ ٤٢]، يقصد بالمؤمنين أولئك الذين توجه ضدهم العصبية.

«فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَآنِ وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ

وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ»[نهج البلاغة: ٢/ ١٤٢].

ثم يوجه التأنيب إلى زعماء القبائل والاتجاهات العنصرية الذين يتولون هذا الاتجاه: «أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ إِعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّقُوا الله وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً، وَلَا تُطِيعُوا الاْدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلاَسُ الْعُقُوقِ»[نهج البلاغة: ٢/ ١٤٢- ١٤٣].

نتائج الصراع العنصري:

إنَّ الصراع العنصري أشدُّ وطأة من الصراع القبلي على المجتمع فهو يؤدي إلى أسباب منها:

١. يعمق الواقع الاجتماعي القبلي وبذلك يحول دون الأمن المجتمعي.

٢. يعزز سلطة الزعماء، فيؤثر على فاعلية سلطة الدولة ويضعفها.

٣. يؤثر على الوحدة الوطنية فيضعف تماسكها.

حذر (عليه السلام) الناس من الركون إلى الدنيا وترك الأمن المجتمعي بالتعاون مع الأشخاص الفاسدين فقال «أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلَا يَخِنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا»[نهج البلاغة: ٢/ ٨٧].

حاول الإمام علي (عليه السلام) في هذا القول أن يرشد الناس إلى أنَّ الدار الاخرة خير من الدنيا فعلى ماذا تتقاتلون وهي تشترط على

الإنسان أن يحافظ على مجتمعه، وأنّ الدنيا زائلة، والله سبحانه جعلها دارا مؤقتة لذا ينبغي أن نحسن فيها التعايش فيما بيننا وهذا يأتي من صفاء نفس الشخص وحسن أخلاقه مع أخيه الإنسان وإخلاصه لله سبحانه يؤدي كذلك إلى الجنة، وهذا لا يكون بالأمر السهل على الإنسان؛ لأنّ نفس الإنسان متكونة من غرائز نفسية ذاتية تحفز الشخص على عمل غير صالح للمجتمع، وهؤلاء الأشخاص كأنما مثلهم الإمام (عليه السلام) بالأمة التي تبكي على الدنيا فتخن اي تصدر صوت أنينها من أنفها في صوت منفر للسامع ومثل هكذا شخص هو عبد للذاته ولهوى نفسه ولذلك نزع منه مفهوم الرجولة.

ونرى في إرشاد آخر يتضمن تحذيرًا إلى الذين عصوا أمره ورضوا بتحكيم صفين مخدوعين بحيلة معاوية فقال (عليه السلام): «وانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا»[نهج البلاغة: ٢/ ٨٧.] هنا أشار (عليه السلام) إلى أنَّ الإنسان لابد أن يستعمل الحوار الذاتي الداخلي الواعي الذي له عمق في الوجدان الإنساني (القلب) لما يحوي من عاطفة إنسانية(١٠٧).

٢. عدم استتباب الأمن المجتمعي: يجعل المجتمع ضعيفا متفرقا لذلك قارن غياب الأمن المجتمعي بالضلالة فقال (عليه السلام): «رَايَةُ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا... تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ»[نهج البلاغة: ١/ ٢٠٧- ٢٠٨].

أراد أن يوضح لهم إذا غاب الأمن المجتمعي فإنّه سيؤثر سلبا على

أفراد المجتمع، وليجسد لهم صورة المجتمع بعد الفتنة وكيف يصوب الأعداء سهامهم على المصلحين ويلتقطونهم من بين الآخرين لذلك أراد أن يوصل لهم معلومة وهي أن عواقب هذه الفتنة عظيمة بحيث تدوس شبابكم أي تقتلهم، فلا خلاص لأحد منكم إن ذهب الأمن، ومثَّل لهم أسباب غياب الأمن المجتمعي، إذ قال: «وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ»[نهج البلاغة: ١/ ٢٨]، إنَّ هذا الكلام مؤلم مفزع للشخص الفاهم ماذا يريد منه الإمام علي (عليه السلام) وهو واقعي ليدرك الناس أسباب غياب الأمن المجتمعي؛ لأنَّ الناس اتبعوا أهواءهم وتركوا ما كانوا عليه ولذلك أصبح كل شخص يشك بأخيه وغابت الثقة وأبدلت بالنفاق والانشقاق[١٠٨].

فوصفهم بسبب ما هم عليه من ضعف نفسي؛ لأنَّهم أشرّ دين وكانت حياتهم الاجتماعية صعبة التعايش فهم يقطعون أرحامهم ويسفكون دماءهم وأراد أن يصور لهم أنّهم كانوا أميّين لا يقرؤون وكان الجهل يسيطر عليهم فنقلهم الإسلام من الجهل إلى العلم والمعرفة فأشار (عليه السلام) إلى أنّه إذا أهملت الشريعة تطبيقا فإنّ الحكم سيكون فاسدا؛ ولذلك فإنَّ مثل هكذا حكم يتصرف على وفق مصالحه الشخصية وليس وفق مصلحة الشعب ويعدم القانون هنا.

فوصف هذا المجتمع الذي يتقدم فيه الأمن المجتمعي كأنّه تفيض فيه الحكمة وتنطفئ فيه الظلمة التي يهلك في طريقها الركبان بقوله: و«تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا،

وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا! يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ، تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينَ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ، يَهْرُبُ مِنْهَا الأَكْيَاسُ، وَيُدَبِّرُهَا الأَرْجَاسُ، مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ! تُقْطَعُ فِيهَا الأَرْحَامُ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الإِسْلاَمُ! بَرِيُّهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ!»[نهج البلاغة: ٢/ ٣٨- ٣٩.].

يبين الإمام المعاناة التي يعيشها الشعب في ظل سياسة القمع وتجاوز القانون الشرعي وانحطاط العلاقات الاجتماعية.

برنامج تحقيق الأمن المجتمعي عند الإمام علي (عليه السلام):

١. (الانسانية) علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان.

٢. (العدالة الاجتماعية) كيفية توزيع الحقوق والواجبات.

٣. الاقتصاد والإنتاجية لكل فرد في المجتمع.

٤. تنظيم دستوري للعلاقات بين الرأي والرغبة والنظرة العادلة للمجتمع .

٥. سيادة القانون بردع المعتدي.

برنامجه في معالجة مشكلات البطالة

تفرغ الإمام (عليه السلام) بعد القضاء على الفتن الداخلية إلى تحسين أوضاع المجتمع الاقتصادية والمعاشية، والقضاء على ألوان البؤس والبطالة وتنظيم الحياة على أساس العدل والقسط:

١. فقام ببناء محلات في أسواق الكوفة ووزعها على المحتاجين الذين يبحثون عن فرص العمل.

٢. قام ببناء بيوت لأيتام الفقراء.

٣. وزع الأراضي مجانًا على المزارعين الذين لا يملكون أرضًا لزراعتها .

٤. قام بالزيارات الميدانية للأسواق للتعرف على أحوال الناس.

٥. جعل أسعار البضائع مناسبة وحارب الاحتكار.

٦. ألّف هيئة تبحث عن ذوي الحاجة والفاقة فترفع حاجاتهم بأموال الدولة (الضمان الاجتماعي).

٧. أقرض من بيت المال للأشخاص الذين لا يملكون رأس مال لمزاولة العمل ثم إرجاع رأس المال المقترض لبيت المال بعد الاستفادة العملية منه.

وأشار إلى أنّ ما تدفعه الدولة لهؤلاء ليس إحسانا منها إليهم وإنّما هو حق لهم علينا يجب أن نؤدّيه[١١٠].

وإذا حللنا هذه الخطوات نجد أنّ الإمام (عليه السلام) كان يفكر في الطبقة المحرومة ويعمل لخيرها ويجب على الدولة كفالة رعاياها من جميع الجوانب لأنّها مسؤولة عليهم.

النتائج

إن الإمام علي (عليه السلام) إمام بالتنصيص وهو خليفة المسلمين ولذلك فإن جميع سلوكياته وأفعاله نابعة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله).

إنّ الفتوحات الإسلامية تميزت بدخول المسلمين إلى ثقافات غير الثقافة الإسلامية ولذلك فقد نظر بعض العرب إلى هذه الثقافات نظرة تنافي الروح الإسلامية الحقيقية ومن هنا دعا الإمام (عليه السلام) إلى التعايش السلمي مع الآخرين مهما كان مستواهم فقال (عليه السلام): **«انصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجكم فأنكم خزان الرعية ووكلاء الامة ولا تضربن احدا سوطا لمكان درهم ولا تمسن مكان احد من الناس مصل ولا معاهد»**[روائع نهج البلاغة: ٩٩.] بمعنى إنّ الإمام (عليه السلام) صرح على التعايش السلمي بين المسلمين وباقي الأديان التي فتحوا أرضها بكلمة لا إله إلا الله وأن يكون أسلوبهم على التعايش مبنيًّا

على الاحترام وحبِّ الإنسانيّة وعدم استعمال القوة مع ضعيفهم والابتعاد عن الاستئثار والظلم والغبن لحقوق الناس.

وأكد أنَّ التعايش السلمي مع هذه الفئات يؤدي إلى الأمن المجتمعي ويعود بالنفع العام للأمة الإسلامية واستقرار الدولة.

طبق الإمام علي (عليه السلام) في التعايش السلمي بين الناس منهج القرآن الكريم.

رسم (عليه السلام) برنامج للتعايش السلمي والأمن المجتمعي لمختلف الثقافات والحضارات.

وأكّد (عليه السلام) على مبدأ المواطنة بالرغم من التباين بين الأديان والمذاهب.

وأنّ من أهم عوامل التوازن الاجتماعي هو الشعور بالمسؤولية فإحساس الإنسان بأنَّه مسؤول عن كلامه وأفعاله يجعله عنصرا إيجابيا وبذلك قال الإمام علي (عليه السلام): «**اتَّقُوا اللهَّ فِي عِبَادِهِ وبِلَادِهِ - فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ والْبَهَائِمِ أَطِيعُوا اللهَّ ولَا تَعْصُوه وإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِه وإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْه**»[111]، وقصد بالبقاع الأراضي المتروكة التي تنتظر الإعمار، وأكّد أنَّ الإنسان ليس مسؤولا عن نفسه فقط وإنَّما حتى على من لا يدرك المجتمع فهو مسؤول عن الأرض وما عليها.

التوصيات

١. تعميق وعي الأمن المجتمعي عن طريق المدارس والمجالس.

٢. تفعيل دور المؤسسات التربوية في تطبيق منهج الإمام علي (عليه السلام) في التعايش السلمي.

٣. تطوير البرامج الإعلامية الداعية إلى التعايش السلمي.

٤. ترجمة كلام الإمام علي (عليه السلام) في التعايش السلمي والأمن

المجتمعي بلغة بسيطة يفهمها طلاب المدارس الابتدائية والمتوسطة ويطبقون ما يخصهم منها.

٥. مساعدة الفقراء وذوي الاحتياجات الخاصة وكفالة اليتيم ليعم الأمن الاجتماعي.

٦. العمل على رفع مستوى دخل الفرد ومكافحة البطالة وخلق فرص عمل للشباب ليعم الأمن الاجتماعي.

٧. إشاعة روح المواطنة والتعايش السلمي في الوطن الواحد.

٨. التخطيط الصحيح للأمن المجتمعي.

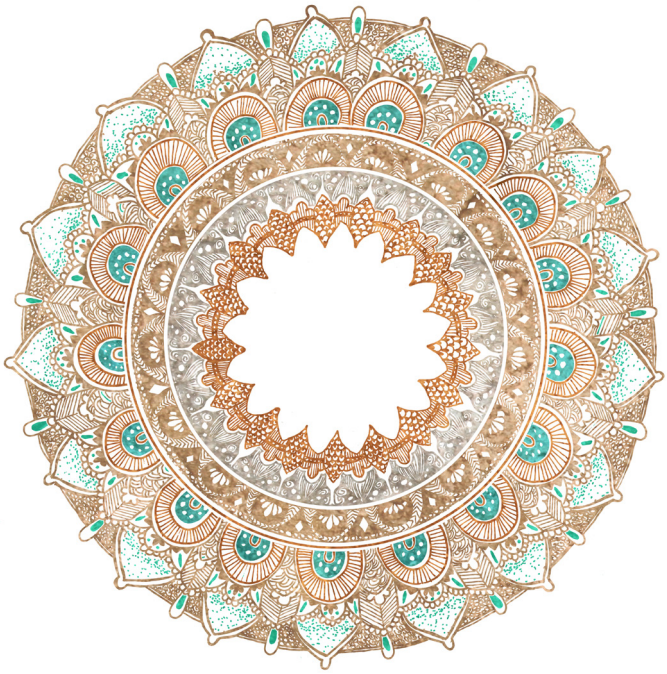

الهوامش:

١. مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٨٩.
٢. نهج البلاغة: ٢/ ١٧.
٣. سورة الإسراء ٧٠.
٤. محمد اديبي مهر، يد الله ملايري Balahgah.net.
٥. الحوار في كلام الإمام علي : ١.
٦. المعجم الوسيط: ٦٣٩.
٧. لسان العرب: ١٣/ ٢٨٩، (سلم).
٨. الأمن الاجتماعي في الإسلام: ١٩.
٩. الأمن الاجتماعي ووسائل تحقيقه في ظل عهد الإمام علي لمالك الأشتر: ٢٠١٧ بتصرف.
١٠. بحار الأنوار: ٤٠/ ١٥٣.
١١. نهج البلاغة:٢/ ٥٨.
١٢. نهج البلاغة: ٣/ ١٠٦.
١٣. مبادئ حقوق الإنسان في عهد الإمام علي: ٥٥.
١٤. الحوار في كلام الإمام علي : ٢.
١٥. نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٢.
١٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٤.
١٧. ينظر: أصول التعايش السلمي دراسة استنباطية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر: ٢٧-٢٨.
١٨. سورة الحجرات: ١٣.
١٩. سورة هود: ١١٨.
٢٠. التعددية الدينية في الفكر الاسلامي: ٣٥.
٢١. سورة البقرة: ٦٢.
٢٢. الكافي:٢/ ١٠٢.
٢٣. في إتحاف الخيرة المهرة: ٢٦١٤، والبيهقي في الشعب: ٧/ ١٣٢.
٢٤. البداية والنهاية: ٣/ ٢٢٤.
٢٥. وسائل الشيعة: ١٠٧.
٢٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ١٠٦.
٢٧. زاويتي محمد، التعايش بين الاديان، كيف ولماذا؟ ٢٠١١ موقع معا لبناء الاسلام www.tfpb.org.
٢٨. ميزان الحكمة: ٤/ ٣٦٣٨.
٢٩. حكومة علي الشرعية: ٩٨.
٣٠. شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٧٠.
٣١. مبادئ حقوق الإنسان في عهد الإمام علي: ١٢.
٣٢. سورة الفتح: ٢٩.
٣٣. نهج البلاغة: ٤ / ٣٢٣.
٣٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٣٢.

٣٥. جامع أحاديث الشيعة: ١٦/ ٣٥٧.
٣٦. بحار الانوار: ٧٧/ ٧٥.
٣٧. نهج البلاغة: ٤/ ٤.
٣٨. ينظر: أخلاق الإمام علي (عليه السلام): ٧٢.
٣٩. القيم الأخلاقية للإمام علي عليه السلام: ١٩.
٤٠. ينظر: أصول التعايش السلمي دراسة استنباطية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر: ٨٥.
٤١. عيون الحكم والمواعظ: ٣٣٥.
٤٢. نهج البلاغة: ٤ / .
٤٣. شرح أصول الكافي - مولي محمد صالح المازندراني: ١١ / ١٥١.
٤٤. ميزان الحكمة: ٢/ ١٥٧٣.
٤٥. عيون الحكم والمواعظ: ٨٣.
٤٦. عيون الحكم والمواعظ: ١٠٣.
٤٧. سورة آل عمران: ١٥٩.
٤٨. سورة آل عمران: ١٣٤.
٤٩. تهذيب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ٢/ ٤٩٤.
٥٠. عيون الحكم والمواعظ: ٥٣٤.
٥١. نهج البلاغة: ٣/ ٨٨.
٥٢. الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٥٧.
٥٣. سورة الأنعام: ٨١.
٥٤. سورة إبراهيم: ٣٥.
٥٥. سورة العنكبوت: ٦٧.
٥٦. سورة النحل: ١١٢.
٥٧. سورة النحل: ١٨.
٥٨. مبادئ حقوق الإنسان في عهد الإمام علي: ١٣.
٥٩. الموازنة بين العدالة الاجتماعية والرعاية في عهد الإمام علي (عليه السلام): ٤٣.
٦٠. مصنف ابن أبي شيبة الكوفي: ٧/ ٢٨.
٦١. نهج البلاغة محمد عبده: ٣/ ٨٤.
٦٢. نهج البلاغة: ٣/ ١٠٢.
٦٣. سورة سبأ: ١٩.
٦٤. الكافي: ١/ ٥١.
٦٥. نهج البلاغة: ٣/ ٨٩- ٩١.
٦٦. نهج البلاغة: ٣/ ١٠٠- ١٠١.
٦٧. الأمن الاجتماعي في الإسلام: ٦٥.
٦٨. مبادئ حقوق الإنسان في عهد الإمام علي: ٨٩.
٦٩. نهج البلاغة: ٢/ ١٤٤- ١٤٦.
٧٠. نهج البلاغة: ٣/ ٨٤.
٧١. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة

والتاريخ: ٤/ ١٧٣.
٧٢. سورة النحل: ٩٠.
٧٣. مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٨٤.
٧٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧/ ٣٧.
٧٥. نهج البلاغة:٣/ ١٠٢.
٧٦. تحف العقول: ١٧٦.
٧٧. نهج اللاغة: ٤/ ٨٩.
٧٨. نهج اللاغة: ٣/ ٨٩.
٧٩. نهج اللاغة: ٢/ ٢١٧- ٢١٨.
٨٠. نهج البلاغة: ٣ / ٨٨.
٨١. نهج البلاغة: ٢ / ٩٥.
٨٢. بحار الانوار: ١٠٠ / ٩٠.
٨٣. من لا يحضر الفقيه: ١/ ٤٢٠.
٨٤.
٨٥. نهج البلاغة: ٣/ ٨٦- ٨٧.
٨٦. نهج البلاغة: ٣/ ٤٥- ٤٦.
٨٧. سورة سبأ: ٢٨.
٨٨. نهج البلاغة: ٢/ ١٨٥.
٨٩. فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف: ٨٥.
٩٠. وسائل الشيعة: ١٣/ ١٦٣.
٩١. بحار الأنوار: ٧١/ ١٦٦.
٩٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٣٠.
٩٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ١٩.
٩٤. العلم والحكمة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري: ٤١٨.
٩٥. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ٢٠٣.
٩٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨/ ١٠٩.
٩٧. ينظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ: ٤/ ٢٠٤.
٩٨. روائع نهج البلاغة: ٢٣٤.
٩٩. وسائل الشيعة: ١/ ١١٧.
١٠٠. ميزان الحكمة: ٢/ ٩٥٤.
١٠١. مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٨٤.
١٠٢. الأمن الاجتماعي، علي أسعد بركات: ١٤٥.
١٠٣. العنف أسبابه وخلفياته النفسية والاجتماعية: ١١.
١٠٤. سورة آل عمران: ١١٠.
١٠٥.
١٠٦. بحار الأنوار: ٧٤/ ٢١٢.
١٠٧. المصباح والسفينة، خضير عبد

الهـادي: ١٠٣.

١٠٨. المصبـاح والسـفينة، خضـير عبـد الهـادي: ١٠٣.

١٠٩.

١١٠. حكومة علي الشرعية ١٢٣.

١١١. شرح نهـج البلاغـة، ابـن أبي الحديـد: ٩/ ٢٨٨.

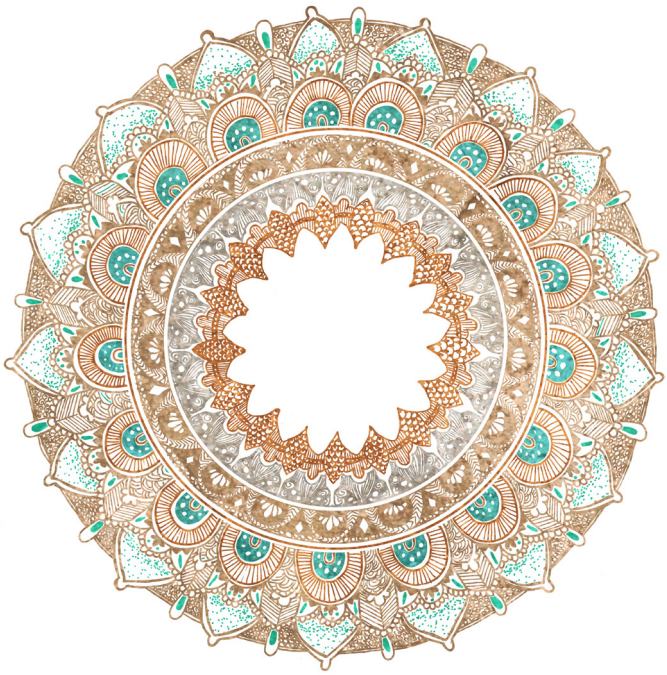

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر ج٢.
٣. أحمد المرياتي، العنف أسبابه وخلفياته النفسية والاجتماعية ١٩٩٧.
٤. أسامة السيد عبد السميع، الأمن الاجتماعي في الإسلام، دار الجامعة الجديد بدون سنة.
٥. ابن أبي الحديد شرح نهج اللاغة.
٦. ابن كثير- البداية والنهاية.
٧. أنيسة خزعل: الحوار في كلام الإمام علي، جامعة الزهراء- إيران.
٨. ابن منظور لسان العرب ج١٣، ٢٨٩ باب السلم.
٩. ابن أبي شيبة الكوفي المصنف، المكتبة الشيعية الالكترونية.
١٠. انصاري غرر الحكم.
١١. ابن سعد الطبقات الكبرى.
١٢. باقر محمد صالح القزويني.
١٣. البروجردي - جامع أحاديث الشيعة- المكتبة الشيعية.
١٤. باقر شريف القريشي، حياة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠٠٨.
١٥. بكر، عبد الجواد: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف.
١٦. التويجري عبد العزيز، الإسلام والتعايش بين الأديان، ١٤١٩هـ.
١٧. حسن عز الدين، التعددية الدينية في الفكر الإسلامي، دار المعارف لبنان ٢٠١١.
١٨. الحر العاملي، وسائل الشيعة.
١٩. الخرسان محمد صادق السيد، أخلاق الإمام علي (عليه السلام)، دار المرتضى بيروت، ٢٠٠٦.
٢٠. خضير عبد الهادي، المصباح والسفينة، كربلاء العتبة الحسينية المقدسة ٢٠١٨.
٢١. رباح صعصع عنان، مبادئ حقوق الإنسان في عهد الإمام علي، ٢٠١٨، كربلاء.
٢٢. رحيم علي صياح، التكافل الاجتماعي جامعة ميسان.
٢٣. زاويتي محمد، التعايش بين الأديان، كيف ولماذا؟ ٢٠١١ موقع معا لبناء الإسلام www.tfpb.org.
٢٤. سناء كاظم كاطع، إيناس عبد السادة علي، الموازنة بين العدالة الاجتماعية والرعاية في عهد الإمام علي (عليه السلام)، مؤسسة علوم نهج البلاغة ٢٠٠٧، كربلاء.
٢٥. الشيخ محمد عبده، نهج البلاغة، مؤسسة التاريخ العربي بيروت، ٢٠٠٧.
٢٦. العاملي محمد أبو الحسن، وسائل الشيعة مؤسسة آل البيت بيروت.

٢٧. عزيز الله العطار، مسند الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام طهران ١٣٨٦.
٢٨. علاء عبد الرزاق، الأمن الاجتماعي ووسائل تحقيقه في ظل عهد الإمام علي لمالك الأشتر.
٢٩. علي أسعد بركات، الأمن الاجتماعي، دمشق ٢٠١١.
٣٠. علي ٢٠١٧ وحدة الدراسات الاجتماعية كربلاء، مؤسسة علوم نهج البلاغة.
٣١. علي شكر الحيالي، القيم الأخلاقية للإمام علي عليه السلام
٣٢. عهد الإمام علي لمالك الأشتر واليه على مصر، العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية، النجف الاشرف ٢٠١٢.
٣٣. الصدوق من لا يحضر الفقيه.
٣٤. ضياء الزهاوي، حكومة علي الشرعية، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام قم.
٣٥. المجلسي - بحار الأنوار .
٣٦. محمد أديبي مهر، يد الله ملايري، جامعة طهران- إيران.
٣٧. محمد حسن الدريندري، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء.
٣٨. محمد الريشهري - ميزان الحكمة، المكتبة الشيعية.
٣٩. محمد عباس الجيلاوي، التعايش السلمي، مؤسسة علوم نهج البلاغة كربلاء ٢٠١٧.
٤٠. محمد علي شهر آشوب ، مناقب الإمام علي، بيروت، مؤسسة الأعلمي ٢٠٠٩.
٤١. محمد عبد الفتاح القيم الحضارية في الاسلام الخطيب، القاهرة، دار البصائر، ٢٠١١.
٤٢. محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، شبكة الفكر، ١٩٩٧.
٤٣. محمد ناصر العذاري، محمد حسن الدريندي، ٢٠١٧، أصول التعايش السلمي في عهد الإمام علي، مؤسسة علوم نهج البلاغة كربلاء.
٤٤. محمود محمد العلي، الإمام علي جدل الحقيقة والمسلمين، مكتبة الروضة الحيدرية، بيروت ٢٠٠٠.
٤٥. الموسوي علي حسين، بنو أمية ونهج البلاغة، ٢٠١٨، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة.
٤٦. الكافي، الشيخ الكليني، المكتبة الشيعية الالكترونية.
٤٧. الهيثمي - مجمع الزوائد، المكتبة الشيعية الالكترونية.